المشوق من الوحيين

إلى الصيام والقيام وتلاوة القرآن

تأليف

أبي الحسن علي بن أحمد الرازحي



دار الإمام أحمد

الْمُشَوِّق مِن الوحيين

إلى

الصيام والقيام وتلاوة القرآن

الطبعة الأولى لـ :

دار الإمام أحمد
للنشر والتوزيع والصوتيات

١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

٢٤٦٩٤/ ٢٠١٠م

الترقيم الدولي : ٥- ٥٠- ٥٠٠٤- ٩٧٧- ٩٧٨

دار الإمام أحمد

٦ شارع عزيز فانوس منشية التحرير جسر السويس - القاهرة

هاتف : ٠٠٢٠٢/٢٢٤١٤٢٤٨ تليفاكس : ٠٠٢٠٢/٢٦٣٦٥٦٣٨ جوال : ٠٠٢/٠١٠٦٠١٤٩٧٨

١١ (أ) درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر

هاتف : ٠٠٢٠٢/٢٥١٠٢٢٩٧ جوال : ٠٠٢/٠١٠٥٢٦٤٠٢٠

E-Mail:Dar_Alemam_Ahmad@yahoo.Com

WWW. DarAlemamAhmad.Com

الْمُشَوِّق مِن الوحيين

إلى

الصيام والقيام وتلاوة القرآن

تأليف

أبي الحسن علي بن أحمد الرازحي

دار الإمام أحمد

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، الحمد لله حمدًا يليق بجلال وجه ربي وعظمته، الحمد لله حتىٰ يرضىٰ وبعد الرضا وفي كل وقت وحين، الحمد لله وهو للحمد أهل وأحمده وهو للشكر أهل.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد:

فإن الله -جل وعلا- فتح أبواب فضله المتكاثرة علىٰ عباده ليستكثروا من عبادته، وطاعته، ويستنيروا بهداه ومرضاته، وحث علىٰ ذلك ورغب فقال: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ [البقرة:١٤٨].

وقال: ﴿۞ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:١٣٣].

وقال: ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد:٢١].

فشرع الله لعباده عبادات كثيرة متفاوتة في الأجر والمثوبة، من أَجَلِّ تلك العبادات: عبادة الصيام، وعبادة القيام، وعبادة تلاوة القرآن.

هذه العبادات حث الله سبحانه ورسوله ﷺ العباد علىٰ فعلها في جميع أوقات العمر، لاسيما في شهر رمضان؛ لما يترتب علىٰ ذلك من الأجور العظيمة، والدرجات الرفيعة، والثمار الجزيلة في الدنيا والآخرة.

وبعض العباد قد يشتغل عن هذه العبادة التي حث عليها الشرع حتىٰ في رمضان، فتراه مشغولًا بأمور لا طائل كبير من ورائها، تلهيه عن اغتنام فرصة هذه العبادة لاسيما في شهر رمضان، وفي غيره ألهىٰ وأشغل عنها.

فأحببت أن أُحَفِّزَ نفسي وأشوق إخواني المسلمين لاسيما من يتشاغل عن هذه العبادات العظيمة، وذلك بذكر ما يسره الله من نصوص الوحيين -كتاب الله العزيز، وسنة نبيه الكريم- المشوقة والمرغبة في هذه العبادة، علها أن تكون حافزًا ومشوقًا لفعل هذه العبادات العظيمة، والسير للعمل بما سواها من العبادات، وسميتها:

«المشوق من الوحيين
إلى الصيام والقيام وتلاوة القرآن»(١)

وقصدت في ذلك الاختصار؛ حتىٰ يسهل تداولها والانتفاع بها.

---

(١) وقد اشتمل المشوق إلىٰ الصيام علىٰ: ثمانية وعشرين بابًا تحتها (٤٥ حديثًا)، والمشوق إلىٰ قيام الليل علىٰ: ستة عشر بابًا تحتها (١٨ حديثًا)، والمشوق إلىٰ تلاوة القرآن علىٰ: خمسة عشر بابًا تحتها (١٧حديثًا)، فكان مجموع الأبواب في هذه الرسالة التي بين يديك: خمسة وخمسون بابًا، تحتها (٨٠حديثًا)، هذا من غير الآيات المذكورة، وكذلك الأحاديث المنثورة في الشرح، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

أسأل الله ربي -جل في علاه- أن ينفعني بها في الدنيا والآخرة، وسائر المسلمين.

وأن يغفر لي ولوالدي ويرحمهما كما ربياني صغيرًا؛ إنه ولي ذلك والقادر عليه.

كتبه

أبو الحسن علي بن أحمد بن حسن الرازحي

(٥شوال من سنة ١٤٢٨)

وكان تصحيحها والإضافة إليها للمرة الثانية

في يوم الإثنين ١٩ جمادئ الأولئ ١٤٣١هـ

المشوق إلى الصيام

تعريف الصوم لغة وشرعًا:

لغة: قال شيخ الإسلام[(١)]: «جماع معنىٰ الصيام في أصل اللغة: الكف والإمساك والامتناع، وذلك هو السكون، وضده الحركة، ولهذا قرن الله تعالىٰ بين الصوم والصلاة؛ لأن الصلاة حركة إلىٰ الحق، والصوم سكون عن الشهوات، فيعم الإمساك عن القول والعمل من الناس والدواب وغيرها».

شرعًا: قال الحافظ ابن حجر: «إمساك مخصوص في زمن مخصوص عن شيء مخصوص بشرائط مخصوصة»[(٢)].

تشويق إلىٰ الصيام وذكر شيء من فوائده.

معلوم أيها المسلم أن المقصود من الصيام هو: حبس النفس عن الشهوات وفطامها عن المألوفات، وتعديل قوتها الشهوانية لتستعد لطلب ما فيه غاية سعادتها ونعيمها وقبول ما تزكو به مما فيه حياتها الأبدية.

ويكسر الجوع والظمأ من حدتها وسورتها ويذكرها بحال الأكباد الجائعة

---

(١) «شرح العمدة» كتاب الصيام (١/ ٢٣)، و«المفردات» للراغب (مادة: صوم).

(٢) «الفتح» (شرح حديث / ١٨٩١)، و«شرح مسلم» للنووي (الباب الأول في الصيام قبل رقم ١٠٧٩)، وانظر للفائدة كتاب الصيام من «شرح العمدة» لشيخ الإسلام (١/ ٢٤).

من المساكين.

وتضيق مجاري الشيطان من العبد بتضييق مجاري الطعام والشراب، وتحبس قوىٰ الأعضاء عن استرسالها لحكم الطبيعة فيما يضرها في معاشها ومعادها ويسكن كل عضو منها وكل قوة عن جماحه وتلجم بلجامه.

فهو لجام المتقين وجنة المحاربين ورياضة الأبرار والمقربين.

وهو لرب العالمين من بين سائر الأعمال؛ فإن الصائم لا يفعل شيئًا وإنما يترك شهوته، وطعامه، وشرابه من أجل معبوده، فهو ترك محبوبات النفس وتلذذاتها؛ إيثارًا لمحبة الله ومرضاته.

وهو سر بين العبد وربه لا يطلع عليه سواه، والعباد قد يطلعون منه علىٰ ترك المفطرات الظاهرة، وأما كونه ترك طعامه وشرابه وشهوته من أجل معبوده فهو أمر لا يطلع عليه بشر، وذلك حقيقة الصوم.

وللصوم تأثير عجيب في حفظ الجوارح الظاهرة والقوىٰ الباطنة، وحبسها عن التخليط، الجالب لها المواد الفاسدة، التي إذا استولت عليها أفسدتها، واستفراغ المواد الرديئة، المانعة لها من صحتها، فالصوم يحفظ علىٰ القلب والجوارح صحتها، ويعيد إليها ما استلبته منها أيدي الشهوات، فهو من أكبر العون علىٰ التقوىٰ كما قال تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [البَقَرَةُ:١٨٥].

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الصَّومُ جُنَّةٌ»(١).

وأمر من اشتدت عليه شهوة النكاح، ولا قدرة له عليه بالصيام، وجعله

(١) سيأتي -إن شاء الله- برقم (٢٦).

وجاء هذه الشهوة.

والمقصود أن مصالح الصوم لما كانت مشهودة بالعقول السليمة والفطر المستقيمة شرعه الله لعباده رحمة بهم وإحسانًا إليهم وحميةً لهم وجنةً[١].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢] في الإشارة إلىٰ فوائد الصيام: «وأما الصوم فناهيك به من عبادة.

تكف النفس عن شهواتها، وتخرجها عن شبه البهائم إلىٰ شبه الملائكة المقربين، فإن النفس إذا خُلِّيت ودواعي شهواتها التحقت بعالم البهائم، فإذا كفت شهواتها لله ضيقت مجاري الشيطان وصارت قريبة من الله بترك عادتها وشهواتها؛ محبة له، وإيثارًا لمرضاته، وتقربًا إليه.

فيدع الصائم أحب الأشياء إليه، وأعظمها لصوقًا بنفسه من الطعام والشراب والجماع من أجل ربه، فهو عبادة ولا تتصور حقيقتها إلا بترك الشهوة لله، فالصائم يدع طعامه وشرابه وشهواته من أجل ربه، وهذا معنىٰ كون الصوم له -تبارك وتعالىٰ-، وبهذا فسر النبي ﷺ هذه الإضافة في الحديث، فقال: «**يقول الله تعالىٰ: كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة بعشرة أمثالها، قال الله: إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به، يدع طعامه وشرابه من أجلي**»[٣].

حتىٰ إن الصائم ليتصور بصورة من لا حاجة له في الدنيا إلا في تحصيل رضا الله، وأي حسن يزيد علىٰ حسن هذه العبادة التي تكسر الشهوة، وتقمع

(١) «زاد المعاد» (٢/ ٢٨-٣٠).

(٢) في «مفتاح دار السعادة» (٢/ ٣).

(٣) سيأتي برقم (٤) -إن شاء الله تعالىٰ-.

النفس، وتحيي القلب، وتفرحه، وتزهد في الدنيا وشهواتها، وترغب فيما عند الله، وتذكر الأغنياء بشأن المساكين وأحوالهم، وأنهم قد أخذوا بنصيب من عيشهم، فتعطف قلوبهم عليهم، ويعلمون ما هم فيه من نعم الله فيزدادوا له شكرًا».

وقال رَحِمَهُ اللهُ[١]: «الصوم جنة من أدواء الروح والقلب والبدن، منافعه تفوت الإحصاء، وله تأثير عجيب في حفظ الصحة، وإذابة الفضلات، وحبس النفس عن تناول مؤذياتها، ولاسيما إذا كان باعتدال وقصد في أفضل أوقاته شرعًا، وحاجة البدن إليه طبعًا.

ثم إن فيه من إراحة القوىٰ والأعضاء ما يحفظ عليها قواها، وفيه خاصية تقتضي إيثاره وهي تفريحه للقلب عاجلًا وآجلًا.

وهو أنفع شيء لأصحاب الأمزجة الباردة والرطبة، وله تأثير عظيم في حفظ صحتهم.

وهو يدخل في الأدوية الروحانية والطبيعية.

وإذا راعىٰ الصائم فيه ما ينبغي مراعاته طبعًا وشرعًا: عظم انتفاع قلبه وبدنه به، وحبس عنه المواد الغريبة الفاسدة التي هو مستعد لها، وأزال المواد الرديئة الحاصلة بحسب كماله ونقصانه.

ويحفظ الصائم مما ينبغي أن يتحفظ منه ويعينه، علىٰ قيامه بمقصود الصوم وسره وعلته الغائية؛ فإن القصد منه أمر آخر وراء ترك الطعام والشراب، وباعتبار ذلك الأمر اختص من بين الأعمال بأنه لله سبحانه.

---

(١) «زاد المعاد» (٤/ ٣٠١).

ولما كان وقاية وجنة بين العبد وبين ما يؤذي قلبه وبدنه عاجلًا وآجلًا قال الله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة:١٨٣].

فأحد مقصودي الصيام: الجنة والوقاية، وهي حمية عظيمة النفع.

والمقصود الآخر: اجتماع القلب والهم علىٰ الله تعالىٰ وتوفير قوىٰ النفس علىٰ محابه وطاعته.

وقد رقمت لك أيها المسلم في هذا الموضع شذرات من نصوص الشرع تشوق الصالح إلىٰ مزيد التزود من هذه العبادة، وتدعو الغافل إلىٰ التنبه لنفسه والإقبال علىٰ هذه العبادة العظيمة، والله الموفق لمن شاء من عباده إلىٰ صراط مستقيم.

وإلىٰ المراد:

١- حث النبي ﷺ على الصيام والصدقة

١- عن عبادة بن الصامت ﷺ: أن رسول الله ﷺ خرج ذات يوم علىٰ راحلته، وأصحابه معه بين يديه، فقال معاذ بن جبل: يا نبي الله، أتأذن لي في أن أتقدم إليك علىٰ طيبة نفس؟ قال: «نعم» فاقترب معاذ إليه فسارا جميعًا، فقال معاذ: بأبي أنت يا رسول الله، أن يجعل يومنا قبل يومك، أرأيت إن كان شيء، ولا نرىٰ شيئًا إن شاء الله تعالىٰ، فأي الأعمال نعملها بعدك؟ فصمت رسول الله ﷺ فقال: «**الجهاد في سبيل الله**».

ثم قال رسول الله ﷺ: «**نعم الشيء الجهاد، والذي بالناس أملك من ذلك فالصيام والصدقة**.

قال: **نعم الشيء الصيام والصدقة**. فذكر معاذ كل خير يعمله ابن آدم.

فقال رسول الله ﷺ: **وعاد بالناس خير من ذلك**.

قال: فماذا بأبي أنت وأمي، عاد بالناس خير من ذلك؟ قال: فأشار رسول الله ﷺ إلىٰ فيه قال: **الصمت إلا من خير**.

قال: وهل نؤاخذ بما تكلمت به ألسنتنا؟ قال: فضرب رسول الله ﷺ فخذ معاذ، ثم قال: **يا معاذ ثكلتك أمك** -أو ما شاء الله أن يقول له من ذلك-، **وهل يكب الناس علىٰ مناخرهم في جهنم إلا ما نطقت به ألسنتهم، فمن كان يؤمن**

بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليسكت عن شر، قولوا خيرًا تغنموا واسكتوا عن شر تسلموا» أخرجه الحاكم[(١)].

الشاهد قوله: «والذي بالناس أملك من ذلك فالصيام والصدقة».

قال: «نعم الشيء الصيام والصدقة». فمعناه -والله أعلم- أن الذي يستطيع الناس من أفعال الخير ويسهل عليهم هو الصيام والصدقة ونعم الشيء ذلك، و«نعم» كلمة تقال للمدح.

وهذا كله تشريع وتنشيط للأمة للاشتغال بمثل هذه العبادات التي قلَّة وندرت في زماننا هذا حقيقة أو معنىً. والله المستعان.

* * *

(١) صحيح: أخرجه الحاكم (٤/ ٢٨٦)، وصححه شيخنا في «الصحيح المسند» (٥٣٨).

٢- الصيام لا مثل له

٢- عن أبي أمامة صدي بن عجلان قال: أنشأ رسول الله ﷺ غزوة فأتيته فقلت: يا رسول الله ادع الله لي بالشهادة. فقال: «**اللهم سلمهم وغنمهم**.

قال: فسلمنا وغنمنا.

قال: ثم أنشأ غزوًا ثانيًا فأتيته، فقلت: يا رسول الله ادع الله لي بالشهادة.

فقال: **اللهم سلمهم وغنمهم**.

قال: فسلمنا وغنمنا.

ثم أنشأ غزوًا ثالثًا، فأتيته،فقلت: يا رسول الله إني أتيتك مرتين قبل مرتي هذه، فسألتك أن تدعو الله لي بالشهادة، فدعوت الله ﷻ أن يسلمنا ويغنمنا، فسلمنا وغنمنا، يا رسول الله فادع الله لي بالشهادة.

فقال: **اللهم سلمهم وغنمهم**.

قال: فسلمنا وغنمنا.

ثم أتيته فقلت: يا رسول الله مرني بعمل.

قال: **عليك بالصوم فإنه لامثل له**.

قال: فما رئي أبو أمامة، ولا امرأته، ولا خادمه إلا صيامًا.

قال: فكان إذا رئي في دارهم دخان بالنهار قيل اعتراهم ضيف نزل بهم نازل.

قال: فلبثت بذلك ما شاء الله ثم أتيته.

فقلت: يا رسول الله أمرتنا بالصيام فأرجو أن يكون قد بارك الله لنا فيه، يا رسول الله فمرني بعمل آخر.

قال: **اعلم أنك لن تسجد لله سجدة إلا رفع الله لك بها درجة، وحط عنك بها خطيئة**». أخرجه أحمد (٥/ ٢٤٨) (٢٢٢٥٧)[(١)].

في هذا الحديث أن هذا الصحابي الجليل بعد غزوه لهذه الغزوات في سبيل الله سبحانه ورغبته في الشهادة وتسليم الله له مع الغُنمِ، أراد عملًا عظيمًا يتقرب به إلىٰ الله يعوضه عن الشهادة في سبيل الله، فسأل النبي ﷺ ذلك فدله علىٰ عبادة الصيام، وشَوَّقَهُ إليها بقوله: **عليك بالصوم فإنه لا مثل له**». وفي رواية للنسائي عقب هذه: «**فإنه لا عدل له**»؛ أي: لا نظير له في كثرة الثواب بفعله كما أراده الله وسنه نبيه ﷺ.

ولا مثل له في كسر الشهوت ودفع النفس الأمارة والشيطان، وهذه درجة عظيمة حيث إنه وصفه بهذا الوصف العظيم «**لا عدل له**»[(٢)].

---

(١) صحيح: وأخرجه أيضًا ابن أبي شيبة (٢/ ٤٢٣)، وعبد الرزاق (٧٨٩٩)، والنسائي (٤/ ١٦٥) (٢٢٢٠)، وابن حبان (٣٤٢٥)، وصححه شيخنا الإمام الوادعي في «الصحيح المسند» (٤٨٨).

(٢) واعلم أن الحافظ ابن عبد البر ذهب إلىٰ أن الصيام هو أفضل العبادات، وأجل الطاعات، فقال: حسبك بكون الصيام جنة من النار فضلًا. وذهب جمهور أهل العلم إلىٰ ترجيح الصلاة بعد توحيد الله تعالىٰ لما أخرجه البخاري ومسلم عن ابن مسعود قال: أَيُّ العَمَل أَفضَل أو أَحَبُّ إِلَىٰ اللهِ؟ فقَالَ النبي ﷺ: «**الصَّلَاةُ عَلَىٰ وَقتِهَا**. قلت: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: **بِرُّ الوَالِدَينِ**. قلت: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: **الجِهَادُ فِي سَبِيلِ الله**». فيكون الصيام بعد هذه الثلاثة. والله أعلم. انظر: «ذخيرة العقبي» (٢١/ ٩٠).

٣- الصيام يُثمر تقوى الله ومخافته

قال الله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة:١٨٣].

«بالجملة فعون الصوم علىٰ تقوىٰ الله أمر مشهور، فما استعان أحد علىٰ تقوىٰ الله، وحفظ حدوده، واجتناب محارمه، بمثل الصوم، فهو شاهد لمن شرعه وأمر به، بأنه أحكم الحاكمين، وأرحم الراحمين، وأنه إنما شرعه إحسانًا إلىٰ عباده، ورحمة بهم، ولطفًا بهم، لا بخلًا عليهم برزقه، ولا مجرد تكليف وتعذيب خال من الحكمة والمصلحة، بل هو غاية الحكمة والرحمة والمصلحة، وإن شرع هذه العبادات لهم من تمام نعمته عليهم ورحمته بهم»[(١)].

* * *

(١) من «مفتاح دار السعادة» (٢/ ٣).

٥- يعين على قطع الشهوات والمعاصي(١)

٣- عَن عَلقَمَةَ قَالَ: كُنتُ مَعَ عَبدِ اللهِ فَلَقِيَهُ عُثمَانُ بِمِنًى فَقَالَ: يَا أَبَا عَبدِ الرَّحمَنِ إنَّ لِي إلَيكَ حَاجَةً فَخَلَوَا فقَالَ عُثمَانُ: هَل لَكَ يَا أَبَا عَبدِ الرَّحمَنِ فِي أَن نُزَوِّجَكَ بِكرًا تُذَكِّرُكَ مَا كُنتَ تَعهَدُ فَلَمَّا رَأَىٰ عَبدُ اللهِ أَن لَيسَ لَهُ حَاجَةٌ إِلَىٰ هَذَا أَشَارَ إِلَيَّ فَقَالَ: يَا عَلقَمَةُ فَانتَهَيتُ إِلَيهِ وَهُوَ يَقُولُ: أَمَا لَئِن قُلتَ ذَلِكَ لَقَد قَالَ لَنَا النَّبِيُّ ﷺ: «يَا مَعشَرَ الشَّبَابِ مَن استَطَاعَ مِنكُم البَاءَةَ فَليَتزَوَّج وَمَن لَم يَستَطِع فَعَلَيهِ بِالصَّومِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ»(٢). متفق عليه(٣).

---

(١) وصحح الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٨٣٠) ما أخرجه أحمد (٢/ ١٧٣)، وغيره عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «خصاء أمتي الصيام»، وفيه زيادة وهي «القيام» لكنها منكرة كما قال الإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ، قلت: «الحديث باللفظ السابق حسن لغيره؛ ففيه ابن لهيعة لكن له شاهد مرسل من مراسيل الزهري أخرجه ابن سعد (٣/ ٣٩٤)».

(٢) قال النووي في «شرح مسلم»: «واختلف العلماء في المراد بالباءة هنا علىٰ قولين يرجعان إلىٰ معنىً واحد أصحهما: أن المراد معناها اللغوي وهو الجماع، فتقديره: «مَن اِستَطَاعَ مِنكُم» الجماع لقدرته علىٰ مؤنه، وهي مؤن النكاح، «فَليَتَزَوَّج»، ومن لم يستطع الجماع لعجزه عن مؤنه، «فَعَلَيهِ بِالصَّومِ»؛ ليدفع شهوته، ويقطع شر منيه...
وأما «الوِجَاء» فبكسر الواو وبالمد، وهو رض الخصيتين، والمراد هنا: أن الصوم يقطع الشهوة، ويقطع شر المني، كما يفعله الوجاء.

(٣) أخرجه البخاري (٥٠٦٥)، ومسلم (١٤٠٠).

في هذا الحديث إرشاد لمن لم يستطع الزواج من ذوي الرغبة فيه، لاسيما من كان مبتلىٰ بشدة الشهوة وتخيلها، بالإقبال علىٰ هذه العبادة العظيمة، والانتفاع بها.

قال الحافظ في «الفتح»(١): «في الحديث أيضًا إرشاد العاجز عن مؤن النكاح إلىٰ الصوم؛ لأن شهوة النكاح تابعة لشهوة الأكل تقوىٰ بقوته وتضعف بضعفه».

قال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ(٢): «في هذا الحديث: إرشاد النبي ﷺ لمن لم يستطع الباءة إلىٰ الصوم، حين قال: **«عليه بالصوم»**. وعلل ذلك بأنه له وجاءٌ؛ يعني: قَطعٌ؛ لأن الصوم يقطع الشهوة من وجهين: وجه ديني، ووجه طبيعي.

أما الوجه الديني: فلأن الصائم في نهاره يشغل عادةً بذكر الله، وقراءة القرآن، والصلاة وغير ذلك، وهذا يشغله عن النكاح، أو طلبه.

أما الثاني وهو البدني: فلأن قلة الطعام والشراب توجب ضعف مسالك الشيطان؛ وهي العروق التي تتسع بالأكل والشرب؛ ولأن الأكل والشرب غالبًا يكون معه البطر والأشر، بخلاف الجوع، فإنه يكون فيه المسكنة في الغالب؛ فلهذا النبي ﷺ أرشد إلىٰ لزوم الصوم لمن لا يستطيع الباءة.

❊ ❊ ❊

---

(١) «الفتح» (٥٠٦٥).

(٢) «شرح صحيح البخاري» (٥٠٦٦).

٦- أجور عظيمة على الصيام لا يحصيها إلا الله

٤- عن أبي هُرَيرَةَ ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «قَالَ اللهُ: كُلُّ عَمَلِ ابنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ[1]؛ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجزِي بِهِ، وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ، وَإِذَا كَانَ يَومُ صَومِ أَحَدِكُم فَلَا يَرفُث وَلَا يَصخَب، فَإِن سَابَّهُ أَحَدٌ أَو قَاتَلَهُ فَليَقُل: إِنِّي امرُؤٌ صَائِمٌ، وَالَّذِي نَفسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطيَبُ عِندَ اللهِ مِن رِيحِ المِسكِ، لِلصَّائِمِ فَرحَتَانِ يَفرَحُهُمَا إِذَا أَفطَرَ فَرِحَ، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَومِهِ». أخرجه البخاري (١٩٠٤) ومسلم (١١٥١).

وأخرجه ابن حبان (٣٤١٦) بلفظ: **«قال الله -تبارك وتعالىٰ-: كل حسنة عملها ابن آدم جزيته بها عشر حسنات، إلىٰ سبعمائة ضعف، إلا الصيام فهو لي وأنا أجزي به، الصيام جنة، فمن كان صائمًا فلا يرفث، ولا يجهل، فإن امرؤ شتمه، أو آذاه فليقل:إني صائم، إني صائم»**.

وبوب عليه باب: فضل الصيام: «ذكر الإخبار عن إعطاء الله -جل وعلا- ثواب الصائمين في القيامة بغير حساب».

ففي هذا الحديث تشويق ظاهر إلىٰ هذه العبادة العظيمة؛ إذ هو موعود

(١) قال الحافظ في «الفتح» (١٨٩٤) (٤/ ١٤١): «واتفقوا علىٰ أن المراد بالصيام هنا صيام من سلم صيامه من المعاصي قولًا وفعلًا».

عليها بهذا الجزاء.

واعلم أن العلماء قد اختلفوا في بيان المراد بقوله: «الصِّيَامَ لِي وَأَنَا أَجزِي بِهِ» علىٰ أكثر من عشرة أقوال ذكر القرطبي في «المفهم»(١) سبعة منها، وأوصلها الحافظ إلىٰ عشرة أقوال.

وقال: بلغني أن بعض العلماء بلغها إلىٰ أكثر من هذا وهو الطالقاني في «حظائر القدس». اهـ

قلت: أقواها اثنان:

الأول: أن الصوم لا يقع فيه الرياء كما يقع في غيره، حكاه المازري ونقله عياض عن أبي عبيد، ولفظ أبي عبيد في «غريبه»: قد علمنا أن أعمال البر كلها لله وهو الذي يجزي بها، فنرىٰ والله أعلم أنه إنما خص الصيام لأنه ليس يظهر من ابن آدم بفعله وإنما هو شيء في القلب.

وقال القرطبي: لما كانت الأعمال يدخلها الرياء والصوم لا يطلع عليه بمجرد فعله إلا الله فأضافه الله إلىٰ نفسه، ولهذا قال في الحديث: «**يدع شهوته من أجلي**».

وقال ابن الجوزي: جميع العبادات تظهر بفعلها وقل أن يسلم ما يظهر من شوب، بخلاف الصوم. وارتضىٰ هذا الجواب المازري، وقرره القرطبي بأن أعمال بني آدم لما كانت يمكن دخول الرياء فيها أضيفت إليهم، بخلاف الصوم فإن حال الممسك شبعًا مثل حال الممسك تقربًا يعني: في الصورة الظاهرة.

قلت: معنىٰ النفي في قوله: «لا رياء في الصوم» أنه لا يدخله الرياء بفعله،

---

(١) «المفهم» (٣/ ٢١٣).

وإن كان قد يدخله الرياء بالقول، كمن يصوم ثم يخبر بأنه صائم فقد يدخله الرياء من هذه الحيثية، فدخول الرياء في الصوم إنما يقع من جهة الإخبار، بخلاف بقية الأعمال فإن الرياء قد يدخلها بمجرد فعلها.

وقد حاول بعض الأئمة إلحاق شيء من العبادات البدنية بالصوم فقال: إن الذكر بلا إله إلا الله، يمكن ألا يدخله الرياء؛ لأنه بحركة اللسان خاصة دون غيره من أعضاء الفم، فيمكن الذاكر أن يقولها بحضرة الناس، ولا يشعرون منه بذلك.

ثانيها: أن المراد بقوله: «**وأنا أجزي به**» أني أنفرد بعلم مقدار ثوابه وتضعيف حسناته. وأما غيره من العبادات فقد اطلع عليها بعض الناس.

قال القرطبي: معناه أن الأعمال قد كشفت مقادير ثوابها للناس وأنها تضاعف من عشرة إلىٰ سبعمائة إلىٰ ما شاء الله، إلا الصيام فإن الله يثيب عليه بغير تقدير.

ويشهد لهذا السياق الرواية الأخرىٰ؛ يعني: رواية «الموطأ»، وكذلك رواية الأعمش عن أبي صالح حيث قال: «**كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة بعشر أمثالها إلىٰ سبعمائة ضعف إلىٰ ما شاء الله -قال الله- إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به**»؛ أي: أجازي عليه جزاءً كثيرًا من غير تعيين لمقداره، وهذا كقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]. انتهىٰ.

والصابرون: الصائمون في أكثر الأقوال.

قلت: وسبق إلىٰ هذا أبو عبيد في «غريبه» فقال[١]: بلغني عن ابن عيينة أنه قال ذلك، واستدل له بأن الصوم هو الصبر؛ لأن الصائم يصبر نفسه عن الشهوات،

---

(١) «الغريب» (١/ ٣٢٥-٣٢٦).

وقد قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]. انتهىٰ.

ويشهد له رواية المسيب بن رافع عن أبي صالح عند سمويه «إلىٰ سبعمائة ضعف، إلا الصوم فإنه لا يدري أحد ما فيه».

ثم قال: وأما العمل الذي لا يعلم ثواب عامله إلا الله فالصيام.

ثم قال القرطبي: هذا القول ظاهر الحسن، قال: غير أنه تقدم ويأتي في غير ما حديث أن صوم اليوم بعشرة أيام، وهي نص في إظهار التضعيف، فبَعُدَ هذا الجواب بل بطل.

قلت: لا يلزم من الذي ذكر بطلانه، بل المراد بما أورده أن صيام اليوم الواحد يكتب بعشرة أيام، وأما مقدار ثواب ذلك فلا يعلمه إلا الله تعالىٰ.

ويؤيده أيضا العرف المستفاد من قوله: **«أنا أجزي به»** لأن الكريم إذا قال: أنا أتولىٰ الإعطاء بنفسي كان في ذلك إشارة إلىٰ تعظيم ذلك العطاء وتفخيمه». اهـ من «الفتح»(١).

قال الحافظ ابن رجب في شرح الحديث(٢): «ومن أحسن ما قيل في ذلك ما قاله سفيان بن عيينة رَحِمَهُ ٱللَّهُ. قال: هذا من أجود الأحاديث وأحكمها: **«إذا كان يوم القيامة يحاسب الله عبده ويؤدي ما عليه من المظالم من سائر عمله حتىٰ لا يبقىٰ إلا الصوم فيتحمل الله عَزَّ وَجَلَّ ما بقي عليه من المظالم ويدخله بالصوم الجنة»**. أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» وغيره(٣).

(١) «الفتح» (٤/ ١٣٩-١٤٠).

(٢) في «لطائف المعارف» (ص٢١٩-٢٣٣).

(٣) أخرجه البيهقي في «الشعب» (٣٣٠٩)، وفي سنده راويان لم أقف علىٰ ترجمتهما.

وعلىٰ هذا فيكون المعنىٰ: أن الصيام لله ﷻ فلا سبيل لأحد إلىٰ أخذ أجره من الصيام، بل أجره مدخر لصاحبه عند الله ﷻ، وحينئذ فقد يقال: إن سائر الأعمال قد يكفر بها ذنوب صاحبها فلا يبقىٰ لها أجر؛ فيحتمل أن يقال في الصوم: إنه لا يسقط ثوابه بمقاصة ولا غيرها بل يوفر أجره لصاحبه حتىٰ يدخل الجنة فيوفىٰ أجره فيها.

وأما قوله: «فإنه لي»؛ فإن الله خص الصيام بإضافته إلىٰ نفسه دون سائر الأعمال، وقد كثر القول في معنىٰ ذلك من الفقهاء، والصوفية، وغيرهم، وذكروا فيه وجوهًا كثيرة.

ومن أحسن ما ذكر فيه وجهان:

أحدهما: أن الصيام هو مجرد ترك حظوظ النفس وشهواتها الأصلية التي جبلت علىٰ الميل إليها لله ﷻ، ولا يوجد ذلك في عبادة أخرىٰ غير الصيام؛ لأن الإحرام إنما يترك فيه الجماع ودواعيه من الطيب دون سائر الشهوات من الأكل والشرب، وكذلك الاعتكاف مع أنه تابع للصيام.

وأما الصلاة فإنه وإن ترك المصلي فيها جميع الشهوات إلا أن مدتها لا تطول فلا يجد المصلي فقد الطعام والشراب في صلاته، بل قد نهي أن يصلي ونفسه تشوق إلىٰ طعام بحضرته حتىٰ يتناول منه ما يسكن نفسه، ولهذا أمر بتقديم العشاء علىٰ الصلاة[1].

---

(١) يشير إلىٰ ما أخرجه البخاري (٦٧٣)، ومسلم (٥٥٩) عَن ابنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا وُضِعَ عَشَاءُ أَحَدِكُم وَأُقِيمَت الصَّلَاةُ فَابدَءُوا بِالعَشَاءِ وَلَا يَعجَل حَتَّىٰ يَفرُغَ مِنهُ». وبنحوه عند مسلم (٥٥٧) عن أنس رضي الله عنه.

وذهبت طائفة من العلماء إلىٰ إباحة شرب الماء في صلاة التطوع.

وهو رواية عن الإمام أحمد، وهذا بخلاف الصيام؛ فإنه يستوعب النهار كله فيجد الصائم فَقْدَ هذه الشهوات، وتشوق نفسه إليها خصوصًا في نهار الصيف؛ لشدة حره وطوله، فإذا اشتد توقان النفس إلىٰ ما تشتهيه مع قدرتها عليه ثم تركته لله ﷻ في موضع لا يطلع عليه إلا الله، كان ذلك دليلًا علىٰ صحة الإيمان، فإن الصائم يعلم أن له ربًّا يطلع عليه في خلوته، وقد حرم عليه أن يتناول شهواته المجبول علىٰ الميل إليها في الخلوة فأطاع ربه، وامتثل أمره، واجتنب نهيه، خوفًا من عقابه، ورغبة في ثوابه، فشكر الله تعالىٰ له ذلك، واختص لنفسه عمله هذا من بين سائر أعماله.

ولهذا قال بعد ذلك: «إنه إنما ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجلي». قال بعض السلف: طوبىٰ لمن ترك شهوة حاضرة لموعد غيب لم يره.

لما علم المؤمن الصائم أن رضا مولاه في ترك شهواته قَدَّمَ رضا مولاه علىٰ هواه، فصارت لذته في ترك شهوته لله؛ لإيمانه باطلاع الله وثوابه أعظم من لذته في تناولها في الخلوة إيثارًا لرضا ربه علىٰ هوىٰ نفسه، بل المؤمن يكره ذلك في خلوته أشد من كراهته لألم الضرب، ولهذا أكثر المؤمنين لو ضرب علىٰ أن يفطر في شهر رمضان لغير عذر لم يفعل؛ لعلمه لكراهة الله لفطره في هذا الشهر، وهذا من علامات الإيمان أن يكره المؤمن ما يلائمه من شهواته، إذا علم أن الله يكرهه فتصير لذته فيما يرضي مولاه، وإن كان مخالفًا لهواه ويكون ألمه فيما يكرهه مولاه، وإن كان موافقًا لهواه.

وإذا كان هذا فيما حرم لعارض الصوم من الطعام، والشراب، ومباشرة

النساء، فينبغي أن يتأكد ذلك فيما حرم علىٰ الإطلاق: كالزنا، وشرب الخمر، وأخذ الأموال، أو الأعراض بغير حق، وسفك الدماء المحرمة، فإن هذا يسخط الله علىٰ كل حال، وفي كل زمان ومكان، فإذا كمل إيمان المؤمن كره ذلك كله أعظم من كراهته للقتل والضرب، ولهذا جعل النبي ﷺ من علامات وجود حلاوة الإيمان: «أن يكره أن يرجع إلىٰ الكفر بعد أن أنقذه الله، كما يكره أن يلقىٰ في النار»(١).

وقال يوسف ﷺ: ﴿رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ﴾ [يوسف:٣٣].

سئل ذو النون المصري: متىٰ أحب ربي؟ قال: إذا كان ما يكرهه أَمَرَّ عندك من الصبر.

وقال غيره: ليس من أعلام المحبة أن تحب ما يكرهه حبيبك.

وكثير من الناس يمشي علىٰ العوائد دون ما يوجبه الإيمان ويقتضيه، فلهذا كثير منهم لو ضرب ما أفطر في رمضان لغير عذر، ومن جهالهم من لا يفطر لعذر ولو تضرر بالصوم مع أن الله يحب منه أن يقبل رخصته جريًا منه علىٰ العادة، وقد اعتاد مع ذلك ما حرم الله من الزنا، وشرب الخمر، وأخذ الأموال والأعراض، أو الدماء بغير حق، فهذا يجري علىٰ عوائده في ذلك كله لا علىٰ مقتضىٰ الإيمان، ومن عمل بمقتضىٰ الإيمان صارت لذته في مصابرة نفسه عما تميل نفسه إليه إذا كان فيه سخط الله، وربما يرتقي إلىٰ أن يكره جميع ما يكره الله منه، وينفر منه وإن كان ملائمًا للنفوس كما قيل:

إن كان رضاكم في سهري ... فسلام الله علىٰ وسني(٢)

---

(١) يشير إلىٰ ما أخرجه البخاري (١٦)، ومسلم (٤٣) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) الوسن: النعاس.

و قال آخر:

عذابه فيك عذاب ... وبعده فيك قرب

وأنت عندي كروحي ... بل أنت منها أحب

حسبي من الحب أني ... لما تحب أحب

الوجه الثاني: إن الصيام سر بين العبد وربه لا يطلع عليه غيره؛ لأنه مركب من نية باطنة لا يطلع عليها إلا الله، وترك لتناول الشهوات التي يستخفىٰ بتناولها في العادة، ولذلك قيل: لا تكتبه الحفظة وقيل: إنه ليس فيه رياء كذا قاله الإمام أحمد وغيره.

وهذا الوجه اختيار أبي عبيد وغيره، وقد يرجع إلىٰ الأول فإن من ترك ما تدعوه نفسه إليه لله ﷻ، حيث لا يطلع عليه غير من أمره ونهاه دل علىٰ صحة إيمانه، والله تعالىٰ يحب من عباده أن يعاملوه سرًّا بينهم وبينه، وأهل محبته يحبون أن يعاملوه سرًّا بينهم وبينه، بحيث لا يطلع علىٰ معاملتهم إياه سواه، حتىٰ كان بعضهم يود لو تمكن من عبادة لا تشعر بها الملائكة الحفظة.

وقال بعضهم: لما اطلع علىٰ بعض سرائره، إنما كانت تطيب الحياة لما كانت المعاملة بيني وبينه سرًّا ثم دعا لنفسه بالموت فمات.

المحبون يغارون من اطلاع الأغيار علىٰ الأسرار التي بينهم وبين من يحبهم ويحبونه.

نسيم صبا نجد متىٰ جئت حاملًا ... تحيتهم فاطو الحديث عن الركب

ولا تذع السر المصون فإنني ... أغار علىٰ ذكر الأحبة من صحبي

وقوله: «**ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجلي**»: فيه إشارة إلىٰ المعنىٰ الذي ذكرناه، وأن الصائم تقرب إلىٰ الله بترك ما تشتهيه نفسه من الطعام، والشراب، والنكاح، وهذه أعظم شهوات النفس.

وفي التقرب بترك هذه الشهوات بالصيام فوائد:

منها: كسر النفس فإن الشبع، والري، ومباشرة النساء، تحمل النفس علىٰ الأشر، والبطر، والغفلة.

ومنها: تخلي القلب للفكر والذكر؛ فإن تناول هذه الشهوات قد تقسي القلب وتعميه وتحول بين العبد وبين الذكر والفكر، وتستدعي الغفلة، وخلو الباطن من الطعام والشراب ينور القلب، ويوجب رقته، ويزيل قسوته، ويخليه للذكر والفكر.

ومنها: أن الغني يعرف قدر نعمة الله عليه بإقداره له علىٰ ما منعه كثيرًا من الفقراء، من فضول الطعام، والشراب، والنكاح، فإنه بامتناعه من ذلك في وقت مخصوص، وحصول المشقة له بذلك يتذكر به مَن منع مِن ذلك علىٰ الإطلاق، فيوجب له ذلك شكر نعمة الله عليه بالغنىٰ، ويدعوه إلىٰ رحمة أخيه المحتاج، ومواساته بما يمكن من ذلك.

ومنها: أن الصيام يضيق مجاري الدم التي هي مجاري الشيطان من ابن آدم، «**فإن الشيطان يجري من ابن آدم مجرىٰ الدم**»(١) فتسكن بالصيام وساوس الشيطان، وتنكسر ثورة الشهوة والغضب، ولهذا جعل النبي ﷺ «الصوم وجاء» لقطعه عن شهوة النكاح.

---

(١) يشير إلىٰ ما أخرجه البخاري (٢٠٣٥) ومسلم (٢١٧٤) من حديث صفية بنت حيي رضي الله عنها.

واعلم أنه لا يتم التقرب إلىٰ الله تعالىٰ بترك هذه الشهوات المباحة في غير حالة الصيام، إلا بعد التقرب إليه بترك ما حرم الله في كل حال، من الكذب، والظلم، والعدوان على الناس في دمائهم وأموالهم وأعراضهم، ولهذا قال النبي ﷺ: **«من لم يَدَع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه»**. خرجه البخاري(١).

وفي حديث آخر: **«ليس الصيام من الطعام والشراب إنما الصيام من اللغو والرفث»**(٢).

وقال الحافظ أبو موسىٰ المديني: هو علىٰ شرط مسلم.

قال بعض السلف: أهون الصيام ترك الشراب والطعام.

إذا لم يكن في السمع مني تصاون ... وفي بصري غض وفي منطقي صَمت

فحظي إذا من صومي الجوع والظمأ ... فإن قلت إني صمت يومي فما صُمت

وقال النبي ﷺ: **«رب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش ورب قائم حظه من قيامه السهر»**(٣).

وسر هذا: أن التقرب إلىٰ الله تعالىٰ بترك المباحات، لا يكمل إلا بعد التقرب إليه بترك المحرمات، فمن ارتكب المحرمات ثم تقرب إلىٰ الله تعالىٰ

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٠٣).

(٢) أخرجه ابن حبان (٣٤٧٩) والحاكم (١/ ٤٣٠) وغيرهما من حديث أبي هريرة ﷺ، وصححه الإمام الألباني في «التعليقات الحسان» (٣٤٧٠).

(٣) قوي، أخرجه ابن ماجه (١٦٩٠) وأحمد (٢/ ٣٧٣) وحسنه شيخنا في «الصحيح المسند» (١٣٧٢) وصحح الشيخ الألباني في «صحيح ابن ماجه».

بترك المباحات كان بمثابة من يترك الفرائض ويتقرب بالنوافل، وإن كان صومه مجزئًا عند الجمهور بحيث لا يؤمر بإعادته؛ لأن العمل إنما يبطل بارتكاب ما نهي عنه فيه لخصوصه دون ارتكاب ما نهي عنه لغير معنىً يختص به. هذا هو قول جمهور العلماء.

وفي «مسند الإمام أحمد» أن امرأتين صامتا في عهد النبي ﷺ فكادتا أن تموتا من العطش، فذكر ذلك للنبي ﷺ فأعرض، ثم ذكرتا له فدعاهما، فأمرهما أن يتقيآ، فقاءتا ملء قدح قيحًا ودمًا وصديدًا ولحمًا عبيطًا، فقال النبي ﷺ: «**إن هاتين صامتا عما أحل الله لهما وأفطرتا علىٰ ما حرم الله عليهما، جلست إحداهما إلىٰ الأخرىٰ فجعلتا تأكلان في لحوم الناس**»[(١)].

ولهذا المعنىٰ والله أعلم ورد في القرآن بعد ذكر تحريم الطعام والشراب علىٰ الصائم بالنهار، ذكر تحريم أكل أموال الناس بالباطل، فإن تحريم هذا عام في كل زمان ومكان بخلاف الطعام والشراب، فكان إشارة إلىٰ أن من امتثل أمر الله في اجتناب الطعام والشراب في نهار صومه فليمتثل أمره في اجتناب أكل الأموال بالباطل، فإنه محرم بكل حال لا يباح في وقت من الأوقات.

وقوله ﷺ: «**وللصائم فرحتان: فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه**».

أما فرحة الصائم عند فطره فإن النفوس مجبولة علىٰ الميل إلىٰ ما يلائمها من مطعم، ومشرب، ومنكح، فإذا منعت من ذلك في وقت من الأوقات ثم أبيح

---

(١) ضعيف: أخرجه أحمد (٥/ ٤٣١) رقم (٢٣٦٥٣) (المؤسسة) من طريق رجل حدثهم في مجلس أبي عثمان النهدي عن عبيد مولىٰ رسول الله ﷺ فذكره، وفي سنده كما ترىٰ مبهم؛ والمبهم أسوأ حالًا من المجهول.

لها في وقت آخر فرحت بإباحة ما منعت منه، خصوصًا عند اشتداد الحاجة إليه، فإن النفوس تفرح بذلك طبعًا، فإن كان ذلك محبوبًا لله كان محبوبًا شرعًا.

والصائم عند فطره كذلك فكما أن الله تعالىٰ حرم علىٰ الصائم في نهار الصيام تناول هذه الشهوات، فقد أذن له فيها في ليل رمضان، بل أحب منه المبادرة إلىٰ تناولها في أول الليل وآخره، فالصائم ترك شهواته لله بالنهار تقربًا إلىٰ الله وطاعة له، ويبادر إليها في الليل تقربًا إلىٰ الله وطاعة له، فما تركها إلا بأمر ربه، ولا عاد إليها إلا بأمر ربه، فهو مطيع له في الحالين، ولهذا نهىٰ عن الوصال في الصيام(١) فإذا بادر الصائم إلىٰ الفطر تقربًا إلىٰ مولاه، وأكل وشرب وحمد الله فإنه يرجىٰ له المغفرة، أو بلوغ الرضوان بذلك.

وفي الحديث: «**إن الله ليرضىٰ عن عبده أن يأكل الأكلة فيحمده عليها ويشرب الشربة فيحمده عليها**»(٢)...

فالصائم في ليله ونهاره في عبادة ويستجاب دعاؤه في صيامه، وعند فطره، فهو في نهاره صائم صابر وفي ليله طاعم شاكر.

ومن فهم هذا الذي أشرنا إليه لم يتوقف في معنىٰ فرح الصائم عند فطره، فإن فطره علىٰ الوجه المشار إليه من فضل الله ورحمته، فيدخل في قول الله تعالىٰ: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [يونس:٥٨].

ولكن شرط ذلك أن يكون فطره علىٰ حلال، فإن كان فطره علىٰ حرام كان

---

(١) يشير إلىٰ ما أخرجه البخاري(١٩٦٢)، ومسلم (٧٠٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما وجاء عن غيره.

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٣٤) من حديث أنس رضي الله عنه.

ممن صام عما أحل الله، وأفطر علىٰ ما حرم الله، ولم يستجب له دعاء، كما قال النبي ﷺ في الذي يطيل السفر «يمد يديه إلىٰ السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه وغذي بالحرام فأنىٰ يستجاب لذلك»[1].

وأما فرحه عند لقاء ربه: فيما يجده عند الله من ثواب الصيام مدخرًا، فيجده أحوج ما كان إليه كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ [المزمل:٢٠].

وقال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾ [آل عمران:٣٠].

وقال: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة:٧-٨]. وقد تقدم قول ابن عيينة: إن ثواب الصيام لا يأخذه الغرماء في المظالم، بل يدخره الله عنده للصائم حتىٰ يدخله به الجنة.

وفي «المسند» عن عقبة بن عامر عن النبي ﷺ قال: «ليس من عمل يوم إلا يختم عليه».

والصائمون علىٰ طبقتين:

إحداهما: من ترك طعامه وشرابه وشهوته لله تعالىٰ يرجو عنده عوض ذلك في الجنة، فهذا قد تاجر مع الله وعامله، والله تعالىٰ يقول: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٣٠]. ولا يخيب معه من عامله، بل يربح عليه أعظم الربح.

وقال رسول الله ﷺ: «إنك لن تدع شيئًا اتقاء الله إلا آتاك الله خيرًا منه». خرجه الإمام أحمد[2].

---

(١) أخرجه مسلم (١٠١٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) صحيح: أخرجه أحمد (٥/ ٧٩) وذكره شيخنا في «الصحيح المسند» وهو من حديث رجل من الأعراب رأىٰ النبي ﷺ.

فهذا الصائم يعطىٰ في الجنة ما شاء الله من طعام، وشراب، ونساء، قال الله تعالىٰ: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة:٢٤].

وفي الصحيحين[١] عن النبي ﷺ قال: **«إن في الجنة بابًا يقال له الريان يدخل منه الصائمون لا يدخل منه غيرهم»**.

وفي رواية: **«فإذا دخلوا أغلق»**.

وفي رواية: **«من دخل منه شرب ومن شرب لم يظمأ أبدًا»**[٢].

يا قوم ألا خاطب في هذا الشهر إلىٰ الرحمن، ألا راغب فيما أعده الله للطائعين في الجنان، ألا طالب لما أخبر به من النعيم المقيم مع أنه ليس الخبر كالعيان.

مــن يــرد ملــك الجــنان ... فلــيدع عــنه التوانــي
ولــيقم فــي ظلمــة الليــل ... إلــىٰ نــور القــرآن
وليــصل صــوما بــصوم ... إن هــذا العــيش فانــي
إنمــا العــيش جــوار الله ... فــي دار الأمــان

الطبقة الثانية من الصائمين: من يصوم في الدنيا عما سوىٰ الله، فيحفظ الرأس وما حوىٰ، ويحفظ البطن وما وعىٰ، ويذكر الموت والبلىٰ، ويريد الآخرة فيترك زينة الدنيا، فهذا عيد فطره يوم لقاء ربه وفرحه برؤيته:

أهل الخصوص من الصوام صومهم ... صون اللسان عن البهتان والكذب
والعارفون وأهل الأنس صومهم ... صون القلوب عن الأغيار والحجب

---

(١) البخاري (١٨٩٦)، ومسلم (١١٥٢).

(٢) هذه الرواية للنسائي (٤/ ١٦٨) وصححها الألباني، وسيأتي مزيد إيضاح لهذه الرواية -إن شاء الله-.

العارفون لا يسليهم عن رؤية مولاهم قصر، ولا يرويهم دون مشاهدته نهر، هممهم أجل من ذلك:

كبرت همة عبد طمعت في أن تراك
من يصم عن مفطرات فصيامي عمن سواك

من صام عن شهواته في الدنيا أدركها غدًا في الجنة، ومن صام عما سوى الله فعيده يوم لقائه ﴿مَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍ﴾ [العنكبوت: ٥].

وقد صمت عن لذات دهري كلها ويوم لقاكم ذاك فطر صيامي

❊ ❊ ❊

يا حبيب القلوب ما لي سواكا ارحم اليوم مذنبًا قد أتاكا
ليس لي في الجنان مولاي رأي غير أني أريدها لأراكا

يا معشر التائبين صوموا اليوم عن شهوات الهوى؛ لتدركوا عيد الفطر يوم اللقاء، لا يطولن عليكم الأمل باستبطاء الأجل؛ فإن معظم نهار الصيام قد ذهب وعيد اللقاء قد اقترب.

إن يومًا جامعًا شملي بهم ذاك عيدي ليس لي عيد سواه

وقوله: «ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك»: خلوف الفم: رائحة ما يتصاعد منه من الأبخرة؛ لخلو المعدة من الطعام بالصيام، وهي رائحة مستكرهة في مشام الناس في الدنيا لكنها طيبة عند الله، حيث كانت ناشئة عن طاعته وابتغاء مرضاته، كما «أن دم الشهيد يجيء يوم القيامة يثعب دمًا لونه لون الدم، وريحه ريح المسك»[1].

---

(١) ساقه المؤلف بالمعنى وقد أخرجه البخاري (٥٥٣٣) ومسلم (١٨٧٦) عن أبي هريرة ﷺ =

وبهذا استدل من كره السواك للصائم، أو لم يستحبه من العلماء، وأول من علمناه استدل بذلك عطاء بن أبي رباح وروي عن أبي هريرة أنه استدل به، لكن من وجه لا يثبت.

وفي المسألة خلاف مشهور بين العلماء، وإنما كرهه من كرهه في آخر نهار الصوم؛ لأنه وقت خلو المعدة وتصاعد الأبخرة وهل يدخل وقت الكراهة بصلاة العصر؟ أو بزوال الشمس؟ أو بفعل صلاة الظهر في أول وقتها؟ على أقوال ثلاثة: والثالث: هو المنصوص عن أحمد.

و في طيب ريح خلوف الصائم عند الله ﷻ معنيان:

أحدهما: أن الصيام لما كان سرًّا بين العبد وبين ربه في الدنيا، أظهره الله في الآخرة علانية للخلق، ليشتهر بذلك أهل الصيام ويعرفون بصيامهم بين الناس، جزاء لإخفائهم صيامهم في الدنيا.

وتستنشق قبل الآخرة وهو نوعان:

أحدهما: ما يدرك بالحواس الظاهرة، كان عبد الله بن غالب من العباد المجتهدين في الصلاة والصيام فلما دفن كان يفوح من تراب قبره رائحة المسك فرؤي في المنام فسئل عن تلك الرائحة التي توجد من قبره فقال: تلك رائحة التلاوة والظمأ.

والنوع الثاني: ما تستنشقه الأرواح والقلوب فيوجب ذلك للصائمين

=

قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِن مَكلُومٍ يُكلَمُ فِي سَبِيلِ اللهِ إِلَّا جَاءَ يَومَ القِيَامَةِ وَكَلمُهُ يَدمَىٰ، اللَّونُ لَونُ دَمٍ وَالرِّيحُ رِيحُ مِسكٍ» واللفظ للبخاري، ولفظ مسلم: «يثعب دمًا».
يثعب: بعين مهملة أي: يجري دمًا.

المخلصين المودة والمحبة في قلوب المؤمنين، وفي حديث الحارث الأشعري عن النبي ﷺ: «أن يحيىٰ بن زكريا عليه السلام قال لبني إسرائيل: آمركم بالصيام؛ فإن مثل ذلك كمثل رجل في عصابة معه صرة فيها مسك، فكلهم تعجبه ريحه، وإن ريح الصيام أطيب عند الله من ريح المسك». خرجه الترمذي وغيره[1].

لما كان أمر المخلصين بصيامهم لمولاهم سرًّا بينه وبينهم، أظهر الله سرهم لعباده فصار علانية، فصار هذا التجلي والإظهار جزاء لذلك الصون والإسرار.

تذلل أرباب الهوىٰ في الهوىٰ عز ... وفقرهم نحو الحبيب هو الكنز

وسترهم فيه السرائر شهرة ... وغير تلاف النفس فيه هو العجز

والمعنىٰ الثاني: أن من عبد الله وأطاعه وطلب رضاه في الدنيا بعمل، فنشأ من عمله آثار مكروهة للنفوس في الدنيا، فإن تلك الآثار غير مكروهة عند الله، بل هي محبوبة له وطيبة عنده، لكونها نشأت عن طاعته واتباع مرضاته، فإخباره بذلك للعاملين في الدنيا فيه تطيب لقلوبهم؛ لئلا يكره منهم ما وجد في الدنيا.

هبت اليوم علىٰ القلوب نفحة من نفحات نسيم القرب، سعىٰ سمسار المواعظ للمهجورين في الصلح، وصلت البشارة للمنقطعين بالوصل، وللمذنبين بالعفو، والمستوجبين النار بالعتق، لما سلسل الشيطان في شهر رمضان، وخمدت نيران الشهوات بالصيام، انعزل سلطان الهوىٰ، وصارت الدولة لحاكم العقل بالعدل، فلم يبق للعاصي عذر، يا غيوم الغفلة عن القلوب تقشعي، يا شموس التقوىٰ والإيمان اطلعي، يا صحائف أعمال الصائمين ارتفعي، يا قلوب الصائمين اخشعي.

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذي (٢٨٦٣ و٢٨٦٤)، وقال شيخنا مقبل في «الجامع الصحيح» (١٩٤٦): صحيح علىٰ شرط مسلم.

يا أقدام المتهجدين اسجدي لربك واركعي، يا عيون المجتهدين لا تهجعي، يا ذنوب التائبين لا ترجعي، يا أرض الهوىٰ ابلعي ماءك، ويا سماء النفوس أقلعي، يا بروق العشاق للعشاق المعي، يا خواطر العارفين ارتعي، يا همم المحبين بغير الله لا تقنعي، قد مدت في هذه الأيام موائد الإنعام للصوام فما منكم إلا من دعي: ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ﴾ [الأحقاف:٣١]. ويا همم المؤمنين أسرعي، فطوبىٰ لمن أجاب فأصاب، وويل لمن طرد عن الباب وما دعي.

ليت شعري إن جئتهم يقبلوني ... أم تراهم عن بابهم يصرفوني

أم تراني إذا وقفت لديهمُ ... يأذنوا بالدخول أم يطردوني

* * *

٥- تمثيل المجاهد بالصائم لعظم أجر الصيام

٥- عَن أَبِي هُرَيرَةَ ﷺ قَالَ: قِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: مَا يَعدِلُ الجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللهِ ﷻ؟ قَالَ: «لَا تَستَطِيعُونَهُ.

قَالَ: فَأَعَادُوا عَلَيهِ مَرَّتَينِ أَو ثَلَاثًا كُلُّ ذَلِكَ يَقُولُ: لَا تَستَطِيعُونَهُ.

وَقَالَ فِي الثَّالِثَةِ: مَثَلُ المُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ الصَّائِمِ القَائِمِ القَانِتِ بِآيَاتِ اللهِ لَا يَفتُرُ مِن صِيَامٍ وَلَا صَلَاةٍ حَتَّىٰ يَرجِعَ المُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللهِ تَعَالَىٰ». أخرجه مسلم (١٨٧٨)، وأخرجه البخاري (٢٧٨٧)، بلفظ: «مَثَلُ المُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ وَاللهُ أَعلَمُ بِمَن يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِهِ كَمَثَلِ الصَّائِمِ القَائِمِ وَتَوَكَّلَ اللهُ لِلمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِهِ بِأَن يَتَوَفَّاهُ أَن يُدخِلَهُ الجَنَّةَ أَو يَرجِعَهُ سَالِمًا مَعَ أَجرٍ أَو غَنِيمَةٍ».

٦- وعن النعمان بن بشير ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المجاهدين في سبيل الله، كمثل الصائم نهاره، والقائم ليله، حتىٰ يرجع متىٰ يرجع». أخرجه أحمد (٤/ ٢٧٢)[1].

في هذين الحديثين تشويق عظيم للقيام بعبادة الصوم علىٰ أحسن وجوهها فقد شبه المجاهد الذي سخر نفسه وأنفاسه في الجهاد في سبيل الله تعالىٰ، فقد

(١) سنده حسن: وأخرجه ابن أبي شيبة (٥/ ٢٨٦)، والبزار كما في «الكشف» (٢/ ٣٥٦) وحسنه شيخنا الإمام الوادعي في «الصحيح المسند» (١١٥٨).

تزهق روحه، وقد يُضرَبُ جسده، ويُكلَمُ بدنه، ويُصَابُ بإصابات متعددة مع هذا البذل العظيم شبه بالصائم القائم؛ لما في أجر الصيام والقيام من الأجور العظيمة، والمقامات الرفيعة.

قال الإمام النووي[(١)]: «مَعنَىٰ القَانِت هُنَا: المُطِيع. وَفِي هَذَا الحَدِيث عَظِيم فَضل الجِهَاد؛ لِأَنَّ الصَّلَاة وَالصِّيَام وَالقِيَام بِآيَاتِ الله أَفضَل الأَعمَال، وَقَد جَعَلَ المُجَاهِد مِثل مَن لَا يَفتُر عَن ذَلِكَ فِي لَحظَة مِن اللَّحَظَات، وَمَعلُوم أَنَّ هَذَا لَا يَتَأَتَّىٰ لِأَحَدٍ، وَلِهَذَا قَالَ ﷺ: «**لَا تَستَطِيعُونَهُ**» وَاللهُ أَعلَم».

قال الحافظ[(٢)]: «وشبه حال الصائم القائم بحال المجاهد في سبيل الله في نيل الثواب في كل حركة وسكون؛ لأن المراد من الصائم القائم من لا يفتر ساعة عن العبادة فأجره مستمر، وكذلك المجاهد لا تضيع ساعة من ساعاته بغير ثواب لما تقدم من حديث: «**أن المجاهد لتستن فرسه فيكتب له حسنات**»[(٣)]. وأصرح منه قوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ﴾ [التوبة:١٢٠] الآيتين.

❊ ❊ ❊

---

(١) في «شرح مسلم» (١٨٧٨).

(٢) «الفتح» (حديث:٢٧٨٧).

(٣) يشير إلىٰ ما أخرجه البخاري (٢٣٧١)، ومسلم (٩٨٧١)، رقمه التسلسلي (٢٢٩٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

٦- تفتح أبوب السماء وتغلق أبوب النار وتصفد الشياطين لدخول شهر الصوم

٧- عن أبي هُرَيرَةَ ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا دَخَلَ شَهرُ رَمَضَانَ، فُتِّحَت أَبوَابُ السَّمَاءِ[1]، وَغُلِّقَت أَبوَابُ جَهَنَّمَ، وَسُلسِلَت الشَّيَاطِينُ»[2].

(١) قال ابن بطال في «شرح البخاري» (٤/ ١٩): يراد بها أبواب الجنة بدليل قوله في الحديث: «وغلقت أبواب جهنم». واستدل عليه أيضًا برواية مسلم.

(٢) ذكر العلماء لها معنيين الأول: أنها علىٰ الحقيقة أنها تسلسل الشياطين، فيقل أذاهم ووسوستهم، وتفتح أبوب الجنة علىٰ الظاهر وهذا ذكره ابن المنير والقرطبي.
والثاني: علىٰ المجاز وأن معنىٰ «تسلسل الشياطين» أن الله يعصم فيه المسلمين أو أكثرهم، في الأغلب عن المعاصي، والميل إلىٰ وسوسة الشياطين وغرورهم.
و(فتح أبوب الجنة) ما فتح الله علىٰ العباد من الأعمال المُسَبِّبة لدخول الجنة، من الصلاة، والصيام، وتلاوة القرآن، وأن الطريق إلىٰ الجنة في رمضان أسهل، والأعمال فيه أسرع إلىٰ القبول.
وكذلك أبواب النار تغلق بما قطع عنهم من المعاصي، وترك الأعمال المتسببة لدخول النار، فهذا معنىٰ الإغلاق والله أعلم. وهذا قاله الداودي والمهلب، وابن عبد البر.
وانظر: «شرح ابن بطال» (٤/ ١٩)، و«الفتح»، و«المفهم» (٣/ ١٣٦)، و«شرح النووي لمسلم»، و«الاستذكار» (١٠/ ٢٥٢).
فائدة: قال القرطبي في «المفهم» (٣/ ٦، ١٣): «فإن قيل: فنرىٰ الشرور والمعاصي تقع

أخرجه البخاري (١٨٩٩)، ومسلم (١٠٧٩) ولفظه: «إِذَا جَاءَ رَمَضَانُ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الجَنَّةِ وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ وَصُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ».

❊ ❊ ❊

=

في رمضان كثيرًا؛ فلو كانت الشياطين مصفدة لما وقع شرٌّ؟

فالجواب من أوجه:

أحدها: إنما تغل عن الصائمين الصوم الذي حُوفظ علىٰ شروطه، ورُوعيت آدابه، أما ما لم يحافظ عليه فلا يغل عن فاعله الشياطين.

الثاني: أنا لو سلمنا أنها صُفِّدت عن كل صائم، لكن لا يلزم من تصفيد جميع الشياطين، ألا يقع شر؛ لأن لوقوع الشر أسبابًا أخر غير الشياطين، وهي: النفوس الخبيثة، والعادات الرَّكيكة، والشياطين الإنسية.

٧- الصيام يذهب وحر الصدر[1]

٨- قال الإمام أحمد (٥/ ٧٧): ثنا إسماعيل ثنا الجريري عن أبي العلاء بن الشخير قال: كنت مع مطرف في سوق الإبل فجاءه أعرابي معه قطعة أديم أو جراب فقال: من يقرأ أو فيكم من يقرأ؟

قلت: نعم. فأخذته فإذا فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله ﷺ لبني زهير بن أقيش -حي من عكل- إنهم إن شهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله وفارقوا المشركين وأقروا بالخمس في غنائمهم، وسهم النبي ﷺ وصفيه؛ فإنهم آمنون بأمان الله ورسوله».

فقال له بعض القوم: هل سمعت من رسول الله ﷺ شيئًا تحدثناه؟ قال: «نعم».

قالوا: فحدثنا يرحمك الله، قال: سمعته يقول: «من سره أن يذهب كثير من وحر صدره فليصم شهر الصبر أو ثلاثة أيام من كل شهر.

فقال له القوم أو بعضهم: أأنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ؟ فقال: ألا أراكم تتهموني أن أكذب علىٰ رسول الله ﷺ؟! وقال إسماعيل مرة: تخافون

(١) «وَحَرَ الصَّدر» قال في «النهاية»: هو بالتحريك: غشه ووساوسه. وقيل: الحقد والغيظ، وقيل: العداوة، وقيل: أشد الغضب. اهـ

والله لأحدثنكم حديثًا سائر اليوم ثم انطلق». فذكره نحوه[١].

تشويق عظيم إلىٰ الصيام إذ إن من فوائده في الدنيا إذهاب وحر الصدر، إذا صام العبد من كل شهر ثلاثة أيام، كما في بعض ألفاظ الحديث الصحيحة[٢]، وكم يجد العبد في صدره من الوحر، وربما يجد قلبه كالجمرة في بعض الأحيان فكان في هذه العبادة وأمثالها ما يذهب ذلك -بإذن الله تعالىٰ-.

* * *

(١) صحيح: قال شيخنا في «الجامع الصحيح» (١٥٠٢): «حديث صحيح، وقد أخرجه أبو داود، والنسائي، والصحابي المبهم هو النمر بن تولب كما في «تحفة الأشراف»». اهـ

(٢) فقد أخرجه البزار عن علي، وابن عباس مرفوعًا بلفظ: «صوم شهر الصبر وثلاثة أيام من كل شهر يذهبن وحر الصدر» كما في «صحيح الجامع».

٨- الصيام والقيام من صفات الصديقين والشهداء

٩- عن عمرو بن مرة الجهني ﷺ قال: جاء رجل إلىٰ النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أرأيت إن شهدت أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله، وصليت الصلوات الخمس، وأديت الزكاة، وصمت رمضان، وقمته، فممن أنا ؟ قال: «من الصديقين والشهداء». أخرجه ابن حبان (٣٤٣٨)[1].

وبوب عليه: ذكر كتبة الله -جل وعلا- صائم رمضان، وقائمه، مع إقامته الصلاة، والزكاة، من الصديقين والشهداء.

أقول: وهذا شيء عظيم أن يسعىٰ العبد في تحصيل العمل بهذه الطاعات اليسيرة التي ترتب عليها هذه الأجور العظيمة، حيث يصير فاعلها في درجة الصديقين والشهداء، وقد أشار الله إلىٰ عظيم تلك المرتبة فقال: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا﴾ [النساء:٦٩-٧٠].

---

(١) سنده صحيح: وأخرجه البزار (٢٥)، وقال الهيثمي في «المجمع»: رواه البزار، ورجاله رجال الصحيح خلا شيخي البزار، وأرجو إسناده أنه حسن أو صحيح. اهـ
وصححه العلامة الألباني في «التعليقات الحسان» (٣٤٢٩).

٩- الصيام من أعظم مكفرات الذنوب

١٠- عَن أَبِي هُرَيرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «الصَّلَوَاتُ الخَمسُ، وَالجُمعَةُ إِلَىٰ الجُمعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَىٰ رَمَضَانَ، مُكَفِّرَاتٌ مَا بَينَهُنَّ، إِذَا اجتنبت الكَبَائِر»[١]. أخرجه مسلم (٢٣٣).

١١- وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من صام رمضان، وعرف حدوده، وتحفظ مما كان ينبغي له أن يتحفظ فيه، كفر ما قبله». أخرجه أحمد (٣/ ٥٥)[٢].

(١) قال القرطبي في «المفهم» (١/ ٤٩٢): قوله: «إذا اجتنبت الكبائر» يدل علىٰ أن الكبائر إنما تغفر بالتوبة المعبر عنها بالاجتناب في قوله تعالىٰ: ﴿إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ﴾ [النساء:٣١]. وقد تقدم القول في الكبائر ما هي؟ فقوله: «حتىٰ يخرج نقيًّا من الذنوب»؛ يعني به:الصغائر، ثم لا بُعدَ في أن يكون بعض الأشخاص تغفر له الكبائر والصغائر بحسب ما يحضره من الإخلاص، ويراعيه من الإحسان والآداب، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

(٢) صحيح لغيره: أخرجه أيضًا ابن المبارك في «الزهد» (٩٨)، ومن طريقه أبو يعلىٰ (١٠٥٨)، وابن حبان (٣٤٣٣) وغيرهم.

وفي سنده عبد الله بن قريط روىٰ عنه يحيىٰ بن أيوب، وذكره ابن حبان في «الثقات»، وقال الحسيني: مجهول، ولكن له شواهد تُقويه وقد بسطت القول عنه في تخريجي لـ «رياض الصالحين»، لله الحمد.

معلوم ما للعبد من الذنوب والخطايا، والتقصير في الطاعات، فكان جديرًا به أن يبحث عما يسد ذلك النقص، علم الله ذلك ففتح أبواب المكفرات للذنوب والسيئات، ومن أَجَلِّ ذلك الصلاة والصيام، فالموفق الذي يسعىٰ لتحصيل هذه الطاعات، لرفع الدرجات، وحط السيئات، وطرح الخطيئات.

* * *

١٠- الصيام من أسباب غفران الذنوب

١٢- عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ صعد المنبر فقال: «آمين آمين آمين. قيل: يا رسول الله، إنك حين صعدت المنبر قلت: آمين آمين آمين.

قال: إن جبريل أتاني فقال: من أدرك شهر رمضان، ولم يغفر له، فدخل النار، فأبعده الله. قل:آمين، فقلت: آمين، ومن أدرك أبويه أو أحدهما، فلم يبرهما، فمات فدخل النار فأبعده الله، قل: آمين، فقلت: آمين، ومن ذكرت عنده، فلم يصل عليك، فمات، فدخل النار، فأبعده الله، قل: آمين، فقلت: آمين».

أخرجه ابن حبان (٩٠٧)[١].

١٣- وعَن أَبِي هُرَيرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «رَغِمَ أَنفُ[٢] رَجُلٍ ذُكِرتُ عِندَهُ فَلَم يُصَلِّ عَلَيَّ، وَرَغِمَ أَنفُ رَجُلٍ دَخَلَ عَلَيهِ رَمَضَانُ ثُمَّ انسَلَخَ قَبلَ

(١) صحيح لغيره: وقال شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الجامع» عقب (١٦٨٦): والحديث يرتقي إلىٰ الصحيح لغيره.اهـ وهو كما قال.

(٢) رغم أنف: أي ذل وقسر. قال ابن الأعرابي: الرَّغم: التراب. والرَّغم: الذلّ. والرَّغم: القَسر... يقال: أَرغَم الله أَنفَه؛ أي: أَلزقه بالرَّغام، وهو التراب، هذا هو الأصل، ثم استعمل في الذل، والعجز، عن الانتصاف، والانقياد، علىٰ كُرهٍ. اهـ

انظر: «اللسان» مادة: رغم .

أَن يُغفَرَ، لَهُ وَرَغِمَ أَنفُ رَجُلٍ أَدرَكَ عِندَهُ أَبَوَاهُ الكِبَرَ، فَلَم يُدخِلَاهُ الجَنَّةَ». أخرجه الترمذي (٣٥٤٥).

في هذين الحديثين تشويق إلىٰ القيام لصيام شهر رمضان إذ إنه سبيل وسبب لغفران الذنوب، مع ما فيه من رفع الدرجات العظيمة والمنافع الجزيلة.

فالعاقل الذي يستعمل نفسه في القيام بصيام هذا الشهر، والأداء له كما أراد الله ورسوله، ليظفر بالخير الكثير؛ حيث ينتهي رمضان وقد حطت ذنوبه، ورحلت عنه خطاياه، لا ذلك المدبر الذي جعله للسهر علىٰ المسلسلات، والنظر إلىٰ القنوات. نسأل الله التوفيق والسداد.

* * *

١١- صيام رمضان وقيامه احتسابًا سبب لغفران الذنوب

١٤- عَن أَبِي هُرَيرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَن قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا[١] وَاحتِسَابًا[٢] غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِهِ». أخرجه البخاري (١٩٠١)، ومسلم (٧٦٠).

شوق النبي الكريم ﷺ العباد إلىٰ القيام بعبادة الله تعالىٰ في شهر رمضان من صيام وقيام بأن أوعدهم أن ذلك مع الإخلاص لله والصدق في العمل موصل إلىٰ تجارة عظيمة وأرباح جسيمة، وهو تكفير الذنوب المتقدمة للعبد، فيا له من ربح نافع أن يكون صيامك لهذا الشهر، وقيامك له، مُخَلِّصًا لك من ذنوبك التي قد أثقلت كواهلك، وأتعبت جوارحك، من لطف الله بك، جعل لك هذه العبادة فإذا ما قمت بها حطت عنك تلك الأوزار، الذي لو قدمت ما في الدنيا ثمنًا لحطها عنك لكان ثمنًا بخسًا.

واعلم أن قوله: «ذَنبِهِ» يشمل جميع ذنوب العبد إلا ما كان متعلقًا بحقوق

---

(١) يعني: تصديقًا بفرضه، وبالثواب من الله تعالىٰ علىٰ أدائه، والقيام به.

(٢) قال ابن بطال في: «شرح البخاري» (٤/ ٢١): «يريد بذلك يحتسب الثواب من الله، وينوي بصيامه وجه الله، وهذا الحديث دليل بَيِّنٌ أن الأعمال الصالحة لا تزكو، ولا تتقبل، إلا مع الاحتساب، وصدق النيات».

المخلوقين ونحو ذلك، لأن «ذنب» اسم جنس إفرادي مضاف، فيتناول جميع الذنوب، وما كان متعلقًا بحقوق الخلق خرج بأدلة أخرىٰ.

قال الحافظ ابن رجب[١]: «والتكفير بصيامه قد ورد مشروطًا بالتحفظ مما ينبغي أن يتحفظ منه؛ ففي «المسند»، و«صحيح ابن حبان» عن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ قال: **«من صام رمضان فعرف حدوده وتحفظ مما ينبغي له أن يتحفظ منه كفر ذلك ما قبله»**[٢].

والجمهور علىٰ أن ذلك إنما يكفر الصغائر؛ ويدل عليه ما خرجه مسلم[٣] من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: **«الصلوات الخمس والجمعة إلىٰ الجمعة، ورمضان إلىٰ رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر»**.

وفي تأويله قولان:

أحدهما: أن تكفير هذه الأعمال مشروط باجتناب الكبائر، فمن لم يجتنب الكبائر لم تكفر له هذه الأعمال كبيرة ولا صغيرة.

والثاني: أن المراد أن هذه الفرائض تكفر الصغائر خاصة بكل حال، وسواء اجتنبت الكبائر أو لم تجتنب، وأنها لا تكفر الكبائر بحال.

وقد قال ابن المنذر في قيام ليلة القدر: إنه يرجىٰ به مغفرة الذنوب كبائرها وصغائرها، وقال غيره مثل ذلك في الصوم أيضًا.

والجمهور علىٰ: أن الكبائر لابد لها من توبة نصوح.

---

(١) في «لطائف المعارف» المجلس السادس في وداع رمضان (ص٢٩٢-٢٩٨).

(٢) سبق رقم (١١).

(٣) مسلم (٢٣٣).

فدل حديث أبي هريرة ﷺ علىٰ: أن هذه الأسباب الثلاثة كل واحد منها مكفر لما سلف من الذنوب وهي: صيام رمضان وقيامه وقيام ليلة القدر.

وسواء كانت في أول العشر، أو أوسطه، أو آخره، وسواء شعر بها، أو لم يشعر.

ولا يتأخر تكفير الذنوب بها إلىٰ انقضاء الشهر.

وأما صيام رمضان وقيامه فيتوقف التكفير بهما علىٰ تمام الشهر، فإذا تم الشهر فقد كمل للمؤمن صيام رمضان وقيامه، فيترتب له علىٰ ذلك مغفرة ما تقدم من ذنبه بتمام السببين، وهما: صيام رمضان وقيامه.

وقد يقال: إنه يغفر لهم عند استكمال القيام في آخر ليلة من رمضان بقيام رمضان قبل تمام نهارها، وتتأخر المغفرة بالصيام إلىٰ إكمال النهار بالصوم فيغفر لهم بالصوم في ليلة الفطر...

غدًا توفىٰ النفوس ما كسبت ... ويحصد الزارعون ما زرعوا

إن أحسنوا أحسنوا لأنفسهم ... وإن أساءوا فبئس ما صنعوا

كان السلف الصالح يجتهدون في إتمام العمل وإكماله وإتقانه، ثم يهتمون بعد ذلك بقبوله ويخافون من رده وهؤلاء الذين: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون:٦٠].

ليت شعري من فيه يقبل منا ... فيهنا يا خيبة المردود

من تولىٰ عنه بغير قبول ... أرغم الله أنفه بخزي شديد

ماذا فات من فاته خير رمضان وأي شيء أدرك من أدركه فيه الحرمان كم بين من حظه فيه القبول والغفران، ومن كان حظه فيه الخيبة والخسران رب قائم

حظه من قيامه السهر وصائم حظه من صيامه الجوع والعطش...

شهر رمضان تكثر فيه أسباب الغفران فمن أسباب المغفرة فيه صيامه وقيامه وقيام ليلة القدر فيه كما سبق...

ومنها: الاستغفار والاستغفار طلب المغفرة.

ودعاء الصائم مستجاب في صيامه وعند فطره...

ترحل شهر الصبر وا لهفاه وانْصَرَمَا ... واختص بالفوز في الجنات من خدما
وأصبح الغافل المسكين منكسرًا ... مثلي فيا ويحه يا عظم ما حرما
من فاته الزرع في وقت البدار فما ... تراه يحصد إلا الهم والندما

* * *

١٢- الصيام من مكفرات الذنوب والخطايا

١٥- عَن حُذَيفَةَ رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا عِندَ عُمَرَ رضي الله عنه فَقَالَ: أَيُّكُم يَحفَظُ حَدِيثَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الفِتنَةِ، كَمَا قَالَ؟ قَالَ: فَقُلتُ: أَنَا. قَالَ: إِنَّكَ لَجَرِيءٌ، وَكَيفَ قَالَ؟ قَالَ قُلتُ: سَمِعتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «فِتنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهلِهِ، وَمَالِهِ، وَنَفسِهِ، وَوَلَدِهِ، وَجَارِهِ[1] يُكَفِّرُهَا الصِّيَامُ، وَالصَّلَاةُ، وَالصَّدَقَةُ، وَالأَمرُ بِالمَعرُوفِ وَالنَّهيُ عَنِ المُنكَرِ.

فَقَالَ عُمَرُ: لَيسَ هَذَا أُرِيدُ إِنَّمَا أُرِيدُ الَّتِي تَمُوجُ كَمَوجِ البَحرِ.

قَالَ: فَقُلتُ: مَا لَكَ وَلَهَا يَا أَمِيرَ المُؤمِنِينَ، إِنَّ بَينَكَ وَبَينَهَا بَابًا مُغلَقًا.

قَالَ: أَفَيُكسَرُ البَابُ أَم يُفتَحُ؟

قَالَ: قُلتُ: لَا بَل يُكسَرُ. قَالَ: ذَلِكَ أَحرَىٰ أَلا يُغلَقَ أَبَدًا. قَالَ: فَقُلنَا لِحُذَيفَةَ: هَل كَانَ عُمَرُ يَعلَمُ مَنِ البَابُ؟

---

(١) قال ابن بطال في «شرح البخاري» (٤/ ١٣): «الفتنة عند العرب: الابتلاء والاختبار، وهي في هذا الحديث: شدة حب الرجل لأهله، وشغفه بهن... ومن فتنة المال أيضًا ألا يصل منه أقاربه، ويمنع معروفه أجانبه، وفتنته في جاره أن يكون أكثر مالًا منه، وحالًا، فيتمنىٰ مثل حاله، وهو معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾ [الفرقان:٢٠]. فهذه الأنواع وما شابهها مما يكون من الصغائر فدونها تكفرها أعمال البر، ومصداق ذلك في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود:١١٤].

قَالَ: نَعَم. كَمَا يَعلَمُ أَنَّ دُونَ غَدٍ اللَّيلَةَ إِنِّي حَدَّثتُهُ حَدِيثًا لَيسَ بِالأَغَالِيطِ.
قَالَ: فَهِبنَا أَن نَسأَلَ حُذَيفَةَ مَن البَابُ فَقُلنَا لِمَسرُوقٍ سَلهُ، فَسَأَلَهُ، فَقَالَ: عُمَرُ».
أخرجه مسلم (١٨٩٥).

* * *

١٤- من أعظم أسباب مكفرات الذنوب صيام يوم عاشوراء وعرفة لمن لم يكن حاجًّا بعرفة

١٦- عَن أَبِي قَتَادَةَ الحارث بن ربعي الأنصاري ﷺ: أن رَجُلًا أَتَىٰ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: كَيفَ تَصُومُ؟ فَغَضِبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا رَأَىٰ عُمَرُ ﷺ غَضَبَهُ، قَالَ: رَضِينَا بِاللهِ رَبًّا، وَبِالإِسلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا، نَعُوذُ بِاللهِ مِن غَضَبِ اللهِ، وَغَضَبِ رَسُولِهِ، فَجَعَلَ عُمَرُ ﷺ يُرَدِّدُ هَذَا الكَلَامَ، حَتَّىٰ سَكَنَ غَضَبُهُ، فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ كَيفَ بِمَن يَصُومُ الدَّهرَ كُلَّهُ؟

قَالَ: «لَا صَامَ وَلَا أَفطَرَ، أَو قَالَ: لَم يَصُم وَلَم يُفطِر.

قَالَ: كَيفَ مَن يَصُومُ يَومَينِ، وَيُفطِرُ يَومًا؟ قَالَ: وَيُطِيقُ ذَلِكَ أَحَدٌ؟

قَالَ: كَيفَ مَن يَصُومُ يَومًا، وَيُفطِرُ يَومًا؟

قَالَ: ذَاكَ صَومُ دَاوُدَ ﷺ.

قَالَ: كَيفَ مَن يَصُومُ يَومًا، وَيُفطِرُ يَومَينِ؟

قَالَ: وَدِدتُ أَنِّي طُوِّقتُ ذَلِكَ.

ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ثَلَاثٌ مِن كُلِّ شَهرٍ، وَرَمَضَانُ إِلَىٰ رَمَضَانَ، فَهَذَا صِيَامُ الدَّهرِ كُلِّهِ، صِيَامُ يَومِ عَرَفَةَ[١]، أَحتَسِبُ عَلَىٰ اللهِ أَن يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبلَهُ،

(١) فائدة: في تسمية عرفة بعرفة؛ قولان: أحدهما: أن جبريل كان يُرِي إبراهيم المناسك، =

وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ، وَصِيَامُ يَومِ عَاشُورَاءَ، أَحتَسِبُ عَلَىٰ اللهِ أَن يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبلَهُ». أخرجه مسلم (١١٦٢).

في هذا الحديث حَثَّ النبي ﷺ علىٰ أنواع من أنواع صيام التطوع؛ ليدل أمته علىٰ ما هو خيرلهم، لكنه زاد تشويقهم إلىٰ هذه العبادة حين قال في صوم يوم وإفطار يومين: «وَدِدتُ أَنِّي طُوِّقتُ ذَلِكَ».

قال النووي في «شرح مسلم»[1]: «قال القاضي: قيل: معناه: وددت أن أمتي تطوقه؛ لأنه ﷺ كان يطيقه وأكثر منه، وكان يواصل ويقول: «إِنِّي لَست كَأَحَدِكُم إِنِّي أَبِيت عِند رَبِّي يُطعِمنِي وَيَسقِينِي»، قلت: ويؤيد هذا التأويل.

قوله ﷺ في الرواية الثانية: «لَيتَ أَنَّ الله قَوَّانَا لِذَلِكَ». أو يقال: إنما قاله لحقوق نسائه وغيرهن من المسلمين، المتعلقين به، والقاصدين إليه[2]». اهـ

ثم زاد تشويق أمته إلىٰ عبادة الصيام فقال: «ثَلَاثٌ مِن كُلِّ شَهرٍ، وَرَمَضَانُ إِلَىٰ رَمَضَانَ، صِيَامُ الدَّهرِ» فجعل صيام أيام معدودة تعادل صيام الدهر.

=

فيقول: عرفت، عرفت. وثانيهما: أن آدم وحواء تعارفا هنالك. اهـ

قلت: وكلاهما ليس عليه دليل يدل عليه، ويبقىٰ تسميتها كغيرها من البلدان التي لا يعلم السبب الصحيح في تسميتها، والله أعلم.

(١) «شرح مسلم» (١١٦٢).

(٢) قال القرطبي في «المفهم» (٣/ ١٨٦): «يشكل مع وصاله، وقوله: «إني أبيت أطعم وأسقىٰ». ويرتفع الإشكال: بأن هذا كان منه ﷺ في أوقات مختلفة: ففي وقت: يواصل الأيام بحكم القوَّة الإلهية. وفي آخر: يضعف؛ فيقول هذا بحكم الطباع البشريه. ويمكن أن يقال: تمنَّىٰ ذلك دائمًا، بحيث لا يخل بحق من الحقوق التي يخل بها من أدام صومه: من القيام بحقوق الزوجات، واستبقاء القوة في الجهاد، وأعمال الطاعات، والله تعالىٰ أعلم.

قال القرطبي[١]: «هذا إنما كان لأن الحسنة بعشر أمثالها. فثلاث من كل شهر كالشهر بالتضعيف، ورمضان بغير تضعيف شهر، فيكمل دهر السنة.

فإن اعتبر رمضان بتضعيفه كان بإزاء عشرة أشهر، فإذا أضيفت إليه ستة أيام شوال كان له صوم ستين بالتضعيف.

وعلىٰ مقتضىٰ مساق هذا الحديث، وعلىٰ ما تقرر من معناه: تستوي أيام الشهر كلها، ولا فرق بين أن يصوم هذه الثلاثة أيام أول الشهر ، أو وسطه ، أو آخره. وكذلك قالت عائشة: «لم يكن يبالي من أي أيام الشهر كان يصومها»[٢]. غير أن النسائي[٣] روىٰ هذا الحديث عن جرير، وقال فيه: «**صيام ثلاثة أيام من كل شهر صيام الدهر، أيام البيض صبيحة ثلاثة عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة**».

وهذا يقتضي تخصيص الثلاثة بأيام الليالي البيض، وهذا -والله أعلم- لأن الليالي البيض، وقت كمال القمر، ووسط الشهر، وخير الأمور أوسطها، وقد قال رسول الله ﷺ لرجل: «**هل صمت من سرة شعبان شيئًا** -يعني: وسطه-؟»[٤].
وفي رواية أخرىٰ: «**من سُرَر**»، مكان «**سُرة**».

وقال ابن حبيب: تصام الثلاثة الأيام: أول يوم من الشهر، والعاشر، والعشرين. قال: وبلغني أن هذا صوم مالك.

وقوله في صيام يوم عرفة :«يكفر السنة التي قبلها»؛ يعني السنة التي هو

---

(١) «المفهم» (٣/ ١٨٧).

(٢) أخرجه مسلم (١١٦٠).

(٣) أخرجه النسائي (٤/ ٢٢٢)، وحسنه الشيخ الألباني وانظر «البدر المنير» (٥/ ٧٥٣).

(٤) أخرجه مسلم (١١٦١)، رقمه التسلسلي (٢٧٥١)، والبخاري تعليقًا (١٩٨٣).

فيها؛ لأنه في أواخر السَّنة، والتي بعدها: يعني التي تأتي متصلة بشهر يوم عرفة.

وعاشوراء: يكفر السَّنة التي بعده؛ لأنه في أوائل السَّنة الآتية.

وقول أم الفضل: «إن ناسًا تماروا يوم عرفة في صيام رسول الله ﷺ يوم عرفة»؛ معنىٰ تماروا: اختلفوا وتجادلوا.

وسبب **هذا الاختلاف**: أنه تعارض عندهم ترغيب النبي ﷺ في صوم يوم عرفة، وسبب الاشتغال بعبادة الحج؛ فشكُّوا في حاله، فارتفع الشك لما شرب، وفُهِمَ: أن صوم عرفة إنما يكون فيه ذلك الفضل بغير عرفة، وأن الأولىٰ ترك صومه بعرفة؛ لمشقة عبادة الحج.

ثم رغب النبي ﷺ وشوق أمته إلىٰ نوع آخر من الصيام فقال: «**صِيَامُ يَومِ عَرَفَةَ، أَحتَسِبُ عَلَىٰ اللهِ أَن يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبلَهُ، وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعدَهُ**».

قال النووي: «مَعنَاهُ: يُكَفِّر ذُنُوب صَائِمه فِي السَّنَتَينِ، قَالُوا: وَالمُرَاد بِهَا الصَّغَائِر،... إن لَم تَكُن صَغَائِرُ يُرجَىٰ التَّخفِيف مِن الكَبَائِر، فَإِن لَم يَكُن رُفِعَت دَرَجَات.

ولا يشكل عليك قوله: «يكفر...السنة التي بعده»، فالمراد أنه يوفق فيها لعدم الإتيان بذنب، وسماه تكفيرًا لمناسبة «الماضية»، أو أنه إن أوقع فيها ذنبًا، وفق للإتيان بما يكفره. أفاده الصنعاني(١).

ورغَّب ﷺ أمته في نوع آخر من الصيام فقال: «**وَصِيَامُ يَومِ عَاشُورَاءَ، أَحتَسِبُ عَلَىٰ اللهِ أَن يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبلَهُ**». ويوم عاشوراء هو اليوم العاشر من شهر محرم عند الجمهور، وقد كان واجبًا قبل فرض رمضان ثم صار مستحبًّا.

---

(١) «سبل السلام» (رقم:٦٣٥).

١٧- فعَن ابنِ عَبَّاسٍ ﭬ قَالَ: قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ المَدِينَةَ فَرَأَىٰ اليَهُودَ تَصُومُ يَومَ عَاشُورَاءَ. فَقَالَ: مَا هَذَا؟ قَالُوا: هَذَا يَومٌ صَالِحٌ، هَذَا يَومٌ نَجَّىٰ اللهُ بَنِي إِسرَائِيلَ مِن عَدُوِّهِم؛ فَصَامَهُ مُوسَىٰ. قَالَ: «فَأَنَا أَحَقُّ بِمُوسَىٰ مِنكُم فَصَامَهُ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ». متفق عليه[1].

١٨- وقال ابن عَبَّاسٍ ﭬ أيضًا: حِينَ صَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَومَ عَاشُورَاءَ، وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ؛ إِنَّهُ يَومٌ تُعَظِّمُهُ اليَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَإِذَا كَانَ العَامُ المُقبِلُ إِن شَاءَ اللهُ صُمنَا اليَومَ التَّاسِعَ.

قَالَ: فَلَم يَأتِ العَامُ المُقبِلُ حَتَّىٰ تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ». أخرجه مسلم[2].

١٩- وقال ابن عُمَرَ ﭬ: لَمَّا افتُرِضَ رَمَضَانُ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ عَاشُورَاءَ يَومٌ مِن أَيَّامِ اللهِ فَمَن شَاءَ صَامَهُ وَمَن شَاءَ تَرَكَهُ». أخرجه مسلم[3].

فعلم من هذا: استحباب صيام يوم عاشوراء مع اليوم التاسع لما فيه من الأجور العظيمة وهو تكفير ذنوب سنة ماضية نسأل الله من فضله.

ودل مجموع الحديث علىٰ: اهتمام النبي ﷺ بعبادة الصيام وحث أمته علىٰ الصيام المتكرر فيها فيما قد شرعه لهم في هذا الحديث وأمثاله، مع ما في ذلك من التشويق بذكر الأجور المترتبة علىٰ ذلك[4].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٠٠٤)، ومسلم (١١٣٠) (١٢٨).

(٢) أخرجه مسلم (١١٣٤) (١٣٣).

(٣) أخرجه مسلم (١١٢٦).

(٤) تتمه مهمة: قال ابن القيم في «تهذيب السنن» (٣/ ٣٠٢-٣٠٥) بعد ذكر هذا الحديث: «وهو نص في أن صوم يوم وفطر يوم أفضل من سرد الصيام، ولو كان سرد الصيام مشروعًا أو =

=

مستحبًّا لكان أكثر عملًا، فيكون أفضل، إذ العبادة لا تكون إلا راجحة، فلو كان عبادة لم يكن مرجوحًا.

وقد تأول قوم هذا علىٰ أن المعنىٰ: لا أفضل من ذلك للمخاطب وحده، لما علم من حاله ومنتهىٰ قُوَّته، وأن ما هو أكثر من ذلك يضعفه عن فرائضه، ويقطعه عن القيام بما عليه من الحقوق.

وهذا تأويل باطل من وجوه.

أحدها: أن سياق الحديث يرده، فإنه إنما كان عن المطيق، فإنه قال: «فإني أطيق أفضل من ذلك» فسبب الحديث في المطيق، فأخبره أنه لا أفضل من ذلك للمطيق الذي سأل، ولو أن رجلًا سأل من يفضل السرد.

وقال: إني أطيق أفضل من صوم يوم وفطر يوم؟ لقال له: السرد أفضل.

الثاني: أنه أخبر عنه بثلاث جمل:

إحداها: أنه أعدل الصيام.

والثانية: أنه صوم داود.

والثالثة: أنه لا أفضل منه. وهذه الأخبار تمنع تخصيصه بالسائل.

الثالث: أن في بعض ألفاظ مسلم فيه: «فإني أقوىٰ. قال: فلم يزل يرفعني، حتىٰ قال: **صم يومًا وأفطر يومًا، فإنه أفضل الصيام، وهو صوم أخي داود**».

فعلل ذلك بكونه أفضل الصيام، وأنه صوم داود، مع إخباره له بقوته، ولم يقل له: فإن قويت فالسرد أفضل.

الرابع: أن هذا موافق لقوله فيمن صام الأبد: «**لا صام ولا أفطر**»، ومعلوم أن السائل لم يسأله عن الصوم المحرم الذي قد استقر تحريمه عندهم، ولو قدر أنه سأله عنه لم يكن ليجيب عنه بقوله: «**لا صام ولا أفطر**»، بل كان يجيب عنه بصريح النهي.

والسياق يدل علىٰ أنه إنما سأله عن الصوم المأذون فيه، لا الممنوع منه، ولا يعبر عن صيام الأيام الخمسة، وعن المنع منها بقوله: «**لا صام من صام الأبد**»، ولا هذه العبارة

=

٢٠- وعَن ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: «مَا رَأَيتُ النَّبِيَّ ﷺ يَتَحَرَّىٰ صِيَامَ يَومٍ فَضَّلَهُ عَلَىٰ غَيرِهِ، إِلَّا هَذَا اليَومَ، يَومَ عَاشُورَاءَ، وَهَذَا الشَّهرَ، يَعنِي: شَهرَ رَمَضَانَ» أخرجه البخاري (٢٠٠٦).

* * *

=

مطابقة للمقصود، بل هي بعيدة منه جدًّا.

الخامس: أنه ﷺ أخبر «أن أحب الصيام إلىٰ الله: صيام داود، وأحب القيام إلىٰ الله قيام داود»، وأخبر بهما معًا.

ثم فسره بقوله: «كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه، وينام سدسه، وكان يصوم يومًا، ويفطر يومًا». (رواه البخاري، ومسلم). وهذا صريح في أنه إنما كان أحب إلىٰ الله لأجل هذا الوصف، وهو ما يتخلل الصيام والقيام من الراحة التي تجم بها نفسه، ويستعين بها علىٰ القيام بالحقوق. وبالله التوفيق».

١٤- أثر الصيام على العبد عند موته وفي قبره

قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ [فصلت:٣٠-٣٢].

إن تَنَزُّل الملائكة هاهنا قد اختلف أهل العلم متىٰ يكون وقوعه. فقال بعضهم: يكون عند الموت، وقال آخرون: يكون يوم القيامة.

قلت: ولا مانع أن العابد لربه المحب للقائه يُنَزِّل الله ملائكته لِطَمأنَة هذا العبد الخائف في الدنيا عند الموت وعند لقاء ربه؛ فكلاهما موضع فزع وخوف شديد مما العبد مقدم عليه.

قال ابن كثير في «تفسيره»: «وقال زيد بن أسلم: يبشرونه عند موته، وفي قبره، وحين يبعث. رواه ابن أبي حاتم.

وهذا القول يجمع الأقوال كلها، وهو حسن جدًّا، وهو الواقع». اهـ

وقد قال تعالىٰ: ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ [الروم:٤٤]. أبان الله تعالىٰ في هذه الآية أن من عمل صالحًا فقد مهد لنفسه بعمله ذلك ويستفاد من ذلك أن من عمل لنفسه عملًا سيئًا لقيه في مهده.

فالصائم القائم المحافظ علىٰ الفرئض يرجىٰ له الخير فإنه يمهد لنفسه بهذه الطاعات ومن ذلك الصيام كما سيأتي في الحديث التالي.

٢١- عن محمد يعني ابن المنكدر قال: كانت أسماء تحدث عن النبي ﷺ قالت: قال ﷺ: «**إذا دخل الإنسان قبره فإن كان مؤمنًا أحف به عمله، الصلاة، والصيام، قال: فيأتيه الملك من نحو الصلاة فترده، ومن نحو الصيام فيرده، قال: فيناديه اجلس.**

قال: فيجلس، فيقول له: ماذا تقول في هذا الرجل -يعني: النبي ﷺ- قال: من؟ قال: محمد قال: أنا أشهد أنه رسول الله ﷺ، قال: يقول وما يدريك أدركته، قال: أشهد أنه رسول الله قال: يقول: علىٰ ذلك عشتَ، وعليه متَّ، وعليه تبعثُ، قال: وإن كان فاجرًا، أو كافرًا، قال: جاء الملك وليس بينه وبينه شيء يرده، قال: فأجلسه، قال: يقول: اجلس ماذا تقول في هذا الرجل؟

قال: أي رجل؟ قال: محمد، قال يقول: والله ما أدري، سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته، قال: فيقول له الملك: علىٰ ذلك عشتَ، وعليه متَّ، وعليه تبعثُ. [قال: وتَسلّط عليه دابة في قبره، معها سوط، ثمرته جمرة[1] مثل غَرب البعير تضربه ما شاء الله، صماء لا تسمع صوته؛ فترحمه]». أخرجه أحمد (٦/ ٣٥٢-٣٥٣)[2].

(١) قال السندي في «حاشية المسند» (٤٤/ ٥٣٦): «ثمرته جمرة» ثمرة السوط: طرفه الذي يكون في أسفل.

«مثل غرب البعير» الغرب: بفتح فسكون: الدلو العظيمة، وإضافته إلىٰ البعير؛ لأنه الذي يخرج مثل ذلك الدلو من البئر».

(٢) صحيح: وأخرجه الطبراني في «الكبير» (٢٤/ رقم ٢٨١)، وما بين المعقوفين قال =

٢٢- وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إن الميت إذا وضع في قبره إنه يسمع خفق نعالهم حين يولون عنه، فإن كان مؤمناً كانت الصلاة عند رأسه، وكان الصيام عن يمينه، وكانت الزكاة عن شماله، وكان فعل الخيرات من الصدقة، والصلة، والمعروف، والإحسان إلىٰ الناس، عند رجليه، فيؤتىٰ من قبل رأسه.

فتقول الصلاة: ما قبلي مدخل، ثم يؤتىٰ عن يمينه، فيقول الصيام: ما قبلي مدخل، ثم يؤتىٰ عن يساره، فتقول الزكاة: ما قبلي مدخل، ثم يؤتىٰ من قبل رجليه، فتقول: فعل الخيرات، من الصدقة، والصلة، والمعروف، والإحسان إلىٰ الناس: ما قبلي مدخل، فيقال له: اجلس فيجلس، وقد مثلت له الشمس، وقد أدنيت للغروب، فيقال له: أرأيتك هذا الرجل الذي كان فيكم، ما تقول فيه، وماذا تشهد به عليه؟

فيقول: دعوني حتىٰ أصلي، فيقولون: إنك ستفعل، أخبرني عما نسألك عنه، أرأيتك هذا الرجل الذي كان فيكم، ما تقول فيه؟ وماذا تشهد عليه؟ قال: فيقول: محمد أشهد أنه رسول الله، وأنه جاء بالحق من عند الله، فيقال له: علىٰ ذلك حييت، وعلىٰ ذلك مت، وعلىٰ ذلك تبعث -إن شاء الله-، ثم يفتح له باب من أبواب الجنة، فيقال له: هذا مقعدك منها، وما أعد الله لك فيها، فيزداد غبطة وسرورًا، ثم يفتح له باب من أبواب النار، فيقال له : هذا مقعدك منها، وما أعد الله لك فيها، لو عصيته، فيزداد غبطة وسرورًا، ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعًا، وينور له فيه، ويعاد الجسد لما بدأ منه، فتجعل نسمته في النسم الطيب، وهي

=

الحافظ ابن رجب عنه كما في «الصحيح المهذب» لي(١٨): «قد رُوي من وجه آخر عن ابن المنكدر أنه بلغه بذلك، فلعله مدرج». اهـ

طير يعلق في شجر الجنة.

قال: فذلك قوله تعالىٰ:﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ ﴾ [إبراهيم:٢٧]. إلىٰ آخر الآية.

قال: وإن الكافر إذا أتي من قبل رأسه لم يوجد شيء، ثم أتي عن يمينه فلا يوجد شيء، ثم أتي عن شماله فلا يوجد شيء، ثم أتي من قبل رجليه فلا يوجد شيء.

فيقال له: اجلس، فيجلس خائفًا مرعوبًا، فيقال له: أرأيتك هذا الرجل الذي كان فيكم، ماذا تقول فيه؟ وماذا تشهدبه عليه؟

فيقول: أي رجل؟

فيقال: الذي كان فيكم، فلا يهتدي لاسمه، حتىٰ يقال له: محمد، فيقول: ما أدري، سمعت الناس قالوا قولًا فقلت كما قال الناس.

فيقال له: علىٰ ذلك حييت، وعلىٰ ذلك مت، وعلىٰ ذلك تبعث -إن شاء الله-، ثم يفتح له باب من أبواب النار، فيقال له : هذا مقعدك من النار، وما أعد الله لك فيها، فيزداد حسرة وثبورًا، ثم يفتح له باب من أبواب الجنة، فيقال له : ذلك مقعدك من الجنة، وما أعد الله لك فيه لو أطعته، فيزداد حسرة وثبورًا، ثم يضيق عليه قبره، حتىٰ تختلف فيه أضلاعه، فتلك المعيشة الضنكة، التي قال الله:﴿ فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾ [طه:١٢٤]». أخرجه ابن حبان (٣١١٣)[١].

أفاد هذان الحديثان: أن العمل الصالح الذي منه الصيام يحف بالعبد

(١) سنده حسن: وأخرجه الطبراني في «الأوسط» (٢٦٣٠) وغيره، وحسنه الشيخ الألباني في «التعليقات الحسان» (٣١٠٣).

ويمنع عنه -بإذن الله تعالىٰ- العذاب.

قال الحافظ ابن رجب كما في «الصحيح المهذب»(١) بعد ذكره للحديثين السابقين مع غيرها: «عن مجاهد في قوله تعالىٰ: ﴿فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ [الروم: ٤٤]، قال: في القبر(٢).

قال أحمد: يعني ابن أبي الحواري: فحدثت به يحيىٰ بن معين قال: طوبىٰ لمن كان له عمل صالح يكون وطأه في قبره.

ويشهد لهذا كله ما في الصحيحين(٣) عن أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقىٰ واحد يتبعه أهله وماله وعمله فيرجع أهله وماله ويبقىٰ عمله**».

وأخرجه البزار والطبراني(٤) بسياق مطول من حديث أنس ﷺ أيضًا عن

---

(١) «الصحيح المهذب لكتاب أهوال القبور وأحوال أهلها إلىٰ النشور» رقم(٢٣-٢٧).

(٢) حسن: إلىٰ مجاهد أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ١١٢).

(٣) البخاري (٦٥١٤)، ومسلم (٢٩٦٠).

(٤) الحديث صحيح لغيره: أخرجه البزار كما في «كشف الأستار» (٣٢٢٩)، والطبراني في «الأوسط» (٢٥٧٨) من طريق عمران بن داور عن قتادة عن أنس ﷺ.

وقال البزار: لا نعلم رواه عن قتادة إلا عمران، وقال بنحوه الطبراني.

قلت: عمران هو ابن داور أبو العوام القطان يصلح للاستشهاد به، وقد أخرج الحديث الحاكم في «مستدركه» (١/ ٧٤) من طريق أحمد بن حفص بن عبد الله حدثني أبي حدثني إبراهيم بن طهمان عن الحجاج عن قتادة عن أنس بن مالك مرفوعًا بنحوه، قال الحاكم: صحيح علىٰ شرط الشيخين ولم يخرجاه. اهـ

فتعقبه شيخنا مقبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تتبعه» (٢٤٨) فقال: «أحمد بن حفص بن عبد الله وأبوه =

النبي ﷺ قال: «ما من عبد إلا له ثلاثة أخلاء: فأما خليل فيقول له: ما أنفقت فلك، وما أمسكت فليس لك، فذلك ماله، وأما خليله فيقول: أنا معك فإذا أتيت باب الملك رجعت وتركتك، فذلك أهله وحشمه، وأما خليل فيقول: أنا معك حيث دخلت، وحيث خرجت، فذلك عمله، فيقول: إن كنت لأهون الثلاثة علي».

وخرج البزار والحاكم[1] من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي ﷺ معناه. وروى إبراهيم بن بشار عن إبراهيم بن أدهم أنه كان ينشد شعرًا:

ما أحد أكرم من مفرد ... أعماله في قبره تؤنسه

منعم الجسم وفي روضة ... زينها الله فهي مجلسه

وأما العارفون بالله المحبون له المنقطعون إليه في الدنيا والمستأنسون به دون خلقه؛ فإن الله بكرمه وفضله لا يخذلهم في قبورهم، بل يتولاهم ويؤنس وحشتهم فـ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ [النحل:١٢٨]. اهـ

=

ليسا من رجال مسلم كما في «التهذيب» فهو على شرط البخاري لا غير»، وهو كما قال شيخنا رحمه الله، وله شاهد عن النعمان يأتي ذكره في التعليق التالي -إن شاء الله-؛ فالحديث صحيح لغيره.

(١) صحيح لغيره: أخرجه البزار(٣١٣) كما في «الصحيحة» (٢٤٨١)، والحاكم (١/ ٧٤-٧٥) وسنده حسن عندهما، وإنما صح بشاهده السابق وحسن سنده شيخنا في «الصحيح المسند» (١١٥٣).

الشيخ الألباني في «الصحيحة» وله شاهد أيضًا عند البزار كما في «كشف الأستار» (٣٢٢٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقال الهيثمي في «المجمع»: رجاله رجال الصحيح. وآخره عنده من حديث سمرة (٣٢٢٧).

١٥- خلوف فم الصائم عند الله يوم القيامة

٢٣- قال الإمام مسلم في «صحيحه» (١١٥١) (١٦٣):

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بنُ رَافِعٍ حَدَّثَنَا عَبدُ الرَّزَّاقِ أَخبَرَنَا ابنُ جُرَيجٍ أَخبَرَنِي عَطَاءٌ عَن أَبِي صَالِحٍ الزَّيَّاتِ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيرَةَ ﷺ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «قَالَ اللهُ ﷻ: كُلُّ عَمَلِ ابنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجزِي بِهِ، وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ، فَإِذَا كَانَ يَومُ صَومِ أَحَدِكُم فَلَا يَرفُث يَومَئِذٍ، وَلَا يَسخَب، فَإِن سَابَّهُ أَحَدٌ أَو قَاتَلَهُ، فَليَقُل: إِنِّي امرُؤٌ صَائِمٌ، وَالَّذِي نَفسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطيَبُ عِندَ اللهِ يَومَ القِيَامَةِ[١] مِن رِيحِ المِسكِ، وَلِلصَّائِمِ فَرحَتَانِ يَفرَحُهُمَا، إِذَا أَفطَرَ فَرِحَ بِفِطرِهِ، وَإِذَا

---

(١) وقع الخلاف في هذه المسألة فقيل: إن ذلك في الدنيا، وقيل: في الآخرة.

وبسط القول في ذلك ابن القيم في كتابه «الوابل الصيب» (٤٨-٥٦) فقال: «قد اختلف في وجود هذه الرائحة من الصائم، هل هي في الدنيا أو في الآخرة؟ على قولين.

ووقع بين الشيخين الفاضلين أبي محمد عز الدين بن عبد السلام، وأبي عمرو بن الصلاح في ذلك تنازع، فمال أبو محمد إلى: أن تلك في الآخرة خاصة، وصنف فيه مصنفًا.

ومال الشيخ أبو عمرو إلى: أن ذلك في الدنيا والآخرة وصنف فيه مصنفًا، رد فيه على أبي محمد، وسلك أبو عمرو في ذلك مسلك أبي حاتم بن حبان فإنه في «صحيحه» بوب عليه كذلك فقال: «ذكر البيان بأن خلوف فم الصائم أطيب عند الله تعالى من ريح =

=

المسك» ثم ساق حديث الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «**كل عمل ابن آدم له إلا الصيام والصيام لي وأنا أجزي به، ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك**». ثم قال: «ذكر البيان بأن خلوف فم الصائم يكون أطيب عند الله من ريح المسك يوم القيامة» ثم ساق حديثًا من حديث ابن جريج عن عطاء عن أبي صالح الزيات أنه سمع أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «**قال الله -تبارك وتعالىٰ-: كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به، والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله يوم القيامة من ريح المسك، للصائم فرحتان: إذا أفطر فرح بفطره وإذا لقي الله تعالىٰ فرح بصومه**».

قال أبو حاتم: شعار المؤمنين يوم القيامة التحجيل بوضوئهم في الدنيا فرقًا بينهم، وبين سائر الأمم وشعارهم في القيامة بصومهم طيب خلوف أفواههم أطيب من ريح المسك ليُعرفوا من بين ذلك الجمع بذلك العمل -جعلنا الله تعالىٰ منهم-، ثم قال ذكر البيان بأن خلوف فم الصائم قد يكون أطيب من ريح المسك في الدنيا، ثم ساق من حديث شعبة عن سليمان ذكوان عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «**كل حسنة يعملها ابن آدم بعشر حسنات إلىٰ سبعمائة ضعف يقول الله ﷻ: إلا الصوم فهو لي وأنا أجزي به يدع الطعام من أجلي والشراب من أجلي وأنا أجزي به وللصائم فرحتان: فرحة حين يفطر وفرحة حين يلقىٰ ربه ﷻ، ولخلوف فم الصائم حين يخلف من الطعام أطيب عند الله من ريح المسك**».

واحتج الشيخ أبو محمد بالحديث الذي فيه تقييد الطيب بيوم القيامة.

قلت: ويشهد لقوله الحديث المتفق عليه: «**والذي نفسي بيده ما من مكلوم يُكلَمُ في سبيل الله -والله أعلم بمن يكلم في سبيله- إلا جاء يوم القيامة وكلمه يدمىٰ، اللون لون دم والريح ريح المسك**».

فأخبر ﷺ عن رائحة كلم المكلوم في سبيل الله ﷻ؛ بأنها كريح المسك يوم القيامة وهو نظير إخباره عن خلوف فم الصائم، فإن الحس يدل علىٰ أن هذا دم في الدنيا، وهذا

=

=

خلوف له ولكن يجعل الله تعالىٰ رائحة هذا وهذا مسكًا يوم القيامة.

واحتج الشيخ أبو عمرو بما ذكره أبو حاتم في «صحيحه»: من تقييد ذلك بوقت إخلافه وذلك يدل علىٰ أنه في الدنيا، فلما قيد المبتدأ وهو: «خلوف فم الصائم» بالظرف وهو قوله: «حين يخلف» كان الخبر عنه، وهو قوله: «أطيب عند الله» خبرًا عنه في حال تقييده؛ فإن المبتدأ إذا تقيد بوصف، أو حال، أو ظرف، كان الخبر عنه حال كونه مقيدًا، فدل علىٰ أن طيبه عند الله تعالىٰ ثابت حال إخلافه.

قال: وروىٰ الحسن بن سفيان في «مسنده» عن جابر أن النبي ﷺ قال: «أعطيت أمتي في شهر رمضان خمسًا». فذكر الحديث وقال فيه: «وأما الثانية فإنهم يُمسون وريح أفواههم أطيب عند الله من ريح المسك».

ثم ذكر كلام الشراح في معنىٰ طيبه، وتأويلهم إياه بالثناء علىٰ الصائم، والرضا بفعله علىٰ عادة كثير منهم بالتأويل من غير ضرورة، حتىٰ كأنه قد بورك فيه فهو موكل به، وأي ضرورة تدعو إلىٰ تأويل كونه «أطيب عند الله من ريح المسك» بالثناء علىٰ فاعله والرضا بفعله، وإخراج اللفظ عن حقيقته؟

وكثير من هؤلاء ينشئ للفظ معنىٰ، ثم يدعي إرادة ذلك المعنىٰ بلفظ النص من غير نظر منه إلىٰ استعمال ذلك اللفظ في المعنىٰ الذي عينه، أو احتمال اللغة له، ومعلوم أن هذا يتضمن الشهادة علىٰ الله تعالىٰ ورسوله ﷺ بأن مراده من كلامه كيت وكيت، فإن لم يكن ذلك معلومًا بوضع اللفظ لذلك المعنىٰ أو عرف الشارع ﷺ وعادته المطردة، أو الغالبة باستعمال ذلك اللفظ في هذا المعنىٰ، أو تفسيره له به، وإلا كانت شهادة باطلة.

وأدنىٰ أحوالها أن تكون شهادة بلا علم.

ومن المعلوم أن أطيب ما عند الناس من الرائحة رائحة المسك فمثل النبي ﷺ هذا الخلوف عند الله تعالىٰ بطيب رائحة المسك عندنا وأعظم، ونسبة استطابة ذلك إليه سبحانه وتعالى، كنسبة سائر صفاته وأفعاله إليه، فإنها استطابة لا تماثل استطابة المخلوقين، كما أن رضاه وغضبه وفرحه وكراهته وحبه وبغضه لا تماثل ما للمخلوق من ذلك، كما أن ذاته سبحانه وتعالى

=

=

لا تشبه ذوات خلقه، وصفاته لا تشبه صفاتهم وأفعالهم.

وهو سُبْحَانَهُ يستطيب الكلم الطيب فيصعد إليه، والعمل الصالح فيرفعه، وليست هذه الاستطابة كاستطابتنا.

ثم إن تأويله لا يرفع الإشكال إذ ما استشكله هؤلاء من الاستطابة يلزم مثله الرضا، فإن قال: رضا ليس كرضا المخلوقين، فقولوا: استطابة ليس كاستطابة المخلوقين، وعلىٰ هذا جميع ما يجيء من هذا الباب.

ثم قال: وأما ذكر يوم القيامة في الحديث فلأنه يوم الجزاء، وفيه يظهر رجحان الخلوف في الميزان علىٰ المسك المستعمل لدفع الرائحة الكريهة طلبًا لرضاء الله تعالىٰ، حيث يؤمر باجتنابها، واجتلاب الرائحة الطيبة، كما في المساجد والصلوات وغيرها من العبادات، فخص «يوم القيامة» بالذكر في بعض الروايات كما خص في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ [العاديات:١١]. وأطلق في باقيها نظرًا إلىٰ أن أصل أفضليته ثابت في الدارين.

قلت: من العجب رده علىٰ أبي محمد بما لا ينكره أبو محمد وغيره؛ فإن الذي فسر به الاستطابة المذكورة في الدنيا: بثناء الله تعالىٰ علىٰ الصائمين ورضائه بفعلهم، أمر لا ينكره مسلم، فإن الله تعالىٰ قد أثنىٰ عليهم في كتابه، وفيما بلغه عنه رسوله ﷺ ورضي بفعله، فإن كانت هذه هي الاستطابة أفترىٰ الشيخ أبو محمد ينكرها!!

والذي ذكره الشيخ أبو محمد: أن هذه الرائحة إنما يظهر طيبها علىٰ طيب المسك في اليوم الذي يظهر فيه طيب دم الشهيد، ويكون كرائحة المسك ولا ريب أن ذلك يوم القيامة، فإن الصائم في ذلك اليوم يجيء ورائحة فمه أطيب من رائحة المسك، كما يجيء المكلوم في سبيل الله عَزَّ وَجَلَّ ورائحة دمه كذلك، لاسيما والجهاد أفضل من الصيام؛ فإن كان طيب رائحته إنما يظهر يوم القيامة فكذلك الصائم.

وأما حديث جابر: «فإنهم يُمسون وخلوف أفواههم أطيب من ريح المسك» فهذه جملة حالية لا خبرية؛ فإن خبر إمسائه لا يقترن بالواو؛ لأنه خبر مبتدأ فلا يجوز اقترانه بالواو، =

=

وإذا كانت الجملة حالية فلأبي محمد أن يقول: هي حال مقدرة والحال المقدرة يجوز تأخيرها عن زمن الفعل العامل فيها، ولهذا لو صرح بيوم القيامة في مثل هذا فقال: «**يمسون وخلوف أفواههم أطيب من ريح المسك يوم القيامة**» لم يكن التركيب فاسدًا، كأنه قال: يمسون، وهذا لهم يوم القيامة.

وأما قوله: «**لخلوف فم الصائم حين يخلف**» فهذا الظرف تحقيق للمبتدأ، أو تأكيد له، وبيان إرادة الحقيقة المفهومة منه لا مجازهُ ولا استعارته، وهذا كما تقول: جهاد المؤمن حين يجاهد، وصلاته حين يصلي، يجزيه الله تعالىٰ بها يوم القيامة، ويرفع بها درجته يوم القيامة، وهذا قريب من قوله ﷺ: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن**».

وليس المراد تقييد نفي الإيمان المطلق عنه حالة مباشرة تلك الأفعال فقط، بحيث إذا كملت مباشرته وانقطع فعله عاد إليه الإيمان، بل هذا النفي مستمر إلىٰ حين التوبة، وإلا فما دام مصرًّا وإن لم يباشر الفعل فالنفي لَاحِقٌ بِهِ ولا يزول عنه اسم الذنب والأحكام المترتبة علىٰ المباشرة إلا بالتوبة النصوح، والله سبحانه وتعالى أعلم.

قلت: وفصل النزاع في المسألة أن يقال: حيث أخبر النبي ﷺ بأن ذلك الطيب يكون يوم القيامة، فلأنه الوقت الذي يظهر فيه ثواب الأعمال وموجباتها من الخير والشر، فيظهر للخلق طيب ذلك الخلوف علىٰ المسك كما يظهر فيه رائحة دم المكلوم في سبيله كرائحة المسك، وكما تظهر فيه السرائر وتبدو علىٰ الوجوه وتصير علانية، ويظهر فيه قبح رائحة الكفار وسواد وجوههم.

وحيث أخبر بأن ذلك حين يخلف وحين يمسون؛ فلأنه وقت ظهور أثر العبادة ويكون حينئذ طيبها علىٰ ريح المسك عند الله تعالىٰ وعند ملائكته، وإن كانت تلك الرائحة كريهة للعباد فرب مكروه عند الناس محبوب عند الله تعالىٰ وبالعكس، فإن الناس يكرهونه لمنافرته طباعهم والله تعالىٰ يستطيبه ويحبه لموافقته أمره ورضاه ومحبته فيكون عنده أطيب من ريح المسك عندنا، فإذا كان يوم القيامة ظهر هذا الطيب للعباد

=

لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ».

بوب عليه ابن حبان في «صحيحه» (٣٤٢٣) «ذكر البيان بأن فم الصائم يكون عند الله أطيب من ريح المسك يوم القيامة» ثم قال عقبه: شعار المؤمنين في القيامة التحجيل بوضوئهم في الدنيا، فرقًا بينهم وبين سائر الأمم، وشعارهم في القيامة بصومهم، طيب خلوفهم، أطيب من ريح المسك ليعرفوا بين ذلك الجمع، بذلك العمل، نسأل الله بركة ذلك اليوم. اهـ

٢٤- وعَن الحَارِثَ الأَشعَرِي ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللهَ أَمَرَ يَحيَىٰ بنَ زَكَرِيَّا بِخَمسِ كَلِمَاتٍ: أَن يَعمَلَ بِهَا وَيَأمُرَ بَنِي إِسرَائِيلَ أَن يَعمَلُوا بِهَا، وَإِنَّهُ كَادَ

=

وصار علانية.

وهكذا سائر آثار الأعمال من الخير والشر، إنما يكمل ظهورها ويصير علانية في الآخرة، وقد يقوىٰ العمل ويتزايد حتىٰ يستلزم ظهور بعض أثره علىٰ العبد في الدنيا في الخير والشر كما هو مشاهد بالبصر والبصيرة.

قال ابن عباس: «إن للحسنة ضياء في الوجه ونورًا في القلب، وقوة في البدن، وسعة في الرزق، ومحبة في قلوب الخلق، وإن للسيئة سوادًا في الوجه، وظلمة في القلب، ووهنًا في البدن، ونقصًا في الرزق وبِغْضَة في قلوب الخلق».

وقال عثمان بن عفان: «ما عمل رجل عملًا إلا ألبسه الله رداءه إن خيرًا فخير وإن شرًّا فشر». وهذا أمر معلوم يشترك فيه وفي العلم به أصحاب البصائر وغيرهم، حتىٰ إن الرجل الطيب البر لتشم منه رائحة طيبة وإن لم يمس طيبًا، فيظهر طيب رائحة روحه علىٰ بدنه وثيابه، والفاجر بالعكس، والمزكوم الذي أصابه الهوىٰ لا يشم لا هذا ولا هذا بل زكامه يحمله علىٰ الإنكار.

فهذا فصل الخطاب في هذه المسألة والله تَعَالَىٰ أعلم بالصواب». اهـ

وانظر: «لطائف المعارف» للحافظ ابن رجب (ص٢٣٧/ ط: دار ابن كثير).

أن يُبطِئ بهَا فقَالَ عِيسَىٰ: إنَّ اللهَ أمَرَكَ بخَمسٍ كَلِمَاتٍ لِتَعمَلَ بِهَا، وَتَأمُرَ بَني إسرَائيلَ أن يَعمَلُوا بِهَا، فإمَّا أن تَأمُرَهُم، وَإمَّا أن آمُرَهُم.

فَقَالَ يَحيَىٰ: أخشَىٰ إن سَبَقتَني بِهَا أن يُخسَفَ بِي أو أُعذَّبَ، فَجَمَعَ النَّاسَ فِي بَيتِ المَقدِسِ فَامتَلأَ المَسجِدُ وَتَعَدَّوا عَلَىٰ الشُّرَفِ فَقَالَ: إنَّ اللهَ أمَرَنِي بِخَمسٍ كَلِمَاتٍ أن أعمَلَ بِهِنَّ وَآمُرَكُم أن تَعمَلُوا بِهِنَّ:

أَوَّلُهُنَّ: أن تَعبُدُوا اللهَ وَلَا تُشرِكُوا بِهِ شَيئًا وَإنَّ مَثَلَ مَن أشرَكَ بِاللهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اشتَرَىٰ عَبدًا مِن خَالِصِ مَالِهِ بِذَهَبٍ أَو وَرِقٍ فَقَالَ: هَذِهِ دَارِي وَهَذَا عَمَلِي، فَاعمَل وَأَدِّ إلَيَّ، فَكَانَ يَعمَلُ وَيُؤَدِّي إلَىٰ غَيرِ سَيِّدِهِ، فَأيُّكُم يَرضَىٰ أن يَكُونَ عَبدُهُ كَذَلِكَ.

وَإنَّ اللهَ أمَرَكُم بِالصَّلَاةِ، فَإذَا صَلَّيتُم فَلَا تَلتَفِتُوا؛ فَإنَّ اللهَ يَنصِبُ وَجهَهُ لِوَجهِ عَبدِهِ فِي صَلَاتِهِ، مَا لَم يَلتَفِت.

وَآمُرُكُم بِالصِّيَامِ، فَإنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ فِي عِصَابَةٍ مَعَهُ صُرَّةٌ فِيهَا مِسكٌ فَكُلُّهُم يَعجَبُ أَو يُعجِبُهُ رِيحُهَا، وَإنَّ رِيحَ الصَّائِمِ أطيَبُ عِندَ اللهِ مِن رِيحِ المِسكِ.

وَآمُرُكُم بِالصَّدَقَةِ؛ فَإنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَسَرَهُ العَدُوُّ، فَأوثَقُوا يَدَهُ إلَىٰ عُنُقِهِ، وَقَدَّمُوهُ لِيَضرِبُوا عُنُقَهُ، فَقَالَ: أنَا أفدِيهِ مِنكُم بِالقَلِيلِ وَالكَثِيرِ، فَفَدَىٰ نَفسَهُ مِنهُم.

وَآمُرُكُم أن تَذكُرُوا اللهَ؛ فَإنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ خَرَجَ العَدُوُّ فِي أثَرِهِ سِرَاعًا حَتَّىٰ إذَا أتَىٰ عَلَىٰ حِصنٍ حَصِينٍ فَأحرَزَ نَفسَهُ مِنهُم، كَذَلِكَ العَبدُ لَا يُحرِزُ نَفسَهُ مِن الشَّيطَانِ إلَّا بِذِكرِ اللهِ».

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَأَنَا آمُرُكُم بِخَمسٍ اللهُ أَمَرَنِي بِهِنَّ: السَّمعُ، وَالطَّاعَةُ، وَالجِهَادُ، وَالهِجرَةُ، وَالجَمَاعَةُ؛ فَإِنَّهُ مَن فَارَقَ الجَمَاعَةَ قِيدَ شِبرٍ فَقَد خَلَعَ رِبقَةَ الإِسلَامِ مِن عُنُقِهِ إِلَّا أَن يَرجِعَ، وَمَن ادَّعَىٰ دَعوَىٰ الجَاهِلِيَّةِ؛ فَإِنَّهُ مِن جُثَا جَهَنَّمَ.

فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَإِن صَلَّىٰ وَصَامَ؟ قَالَ: وَإِن صَلَّىٰ وَصَامَ فَادعُوا بِدَعوَىٰ اللهِ الَّذِي سَمَّاكُم المُسلِمِينَ المُؤمِنِينَ عِبَادَ اللهِ». أخرجه الترمذي وأحمد[١].

قال ابن القيم[٢]: «ذكر ﷺ في هذا الحديث العظيم الشأن -الذي ينبغي لكل مسلم حفظه وتعقله- ما ينجي من الشيطان، وما يحصل للعبد به الفوز والنجاة في دنياه وأخراه». اهـ

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «إنما مثل ﷺ ذلك بصاحب الصرة التي فيها المسك لأنها مستورة عن العيون، مخبوءة تحت ثيابه كعادة حامل المسك، وهكذا الصائم صومه مستور عن مشاهدة الخلق لا تدركه حواسهم، والصائم هو الذي صامت جوارحه عن الآثام، ولسانه عن الكذب، والفحش، وقول الزور، وبطنه عن الطعام والشراب، وفرجه عن الرفث، فإن تكلم لم يتكلم بما يجرح صومه، وإن فعل لم يفعل ما يفسد صومه، فيخرج كلامه كله نافعًا صالحًا.

وكذلك أعماله فهي بمنزلة الرائحة التي يشمها من جالس حامل المسك،

---

(١) صحيح، أخرجه الترمذي (٢٨٦٣)(٢٨٦٤) وأحمد(٤/ ٢٠٢)، قال الترمذي: حسن صحيح غريب، وألزم الدارقطني البخاري ومسلمًا أن يخرجاه، وقال شيخنا في «الصحيح المسند» (٢٨٥): صحيح على شرط مسلم.

(٢) «الوابل الصيب» (ص٣١).

(٣) «الوابل الصيب» (ص٤٦).

كذلك من جالس الصائم انتفع بمجالسته، وأمن فيها من الزور، والكذب، والفجور، والظلم، هذا هو الصوم المشروع، لا مجرد الإمساك عن الطعام والشراب، ففي الحديث الصحيح: «**من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل فليس لله حاجة أن يدع طعامه وشرابه**»[١].

وفي الحديث: «**رب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش**»[٢].

فالصوم هو صوم الجوارح عن الآثام، وصوم البطن عن الشراب والطعام، فكما أن الطعام والشراب يقطعه ويفسده، فهكذا الآثام تقطع ثوابه، وتفسد ثمرته، فَتَصَيِّرُهُ بمنزلة من لم يصم». اهـ

❊ ❊ ❊

(١) تقدم تحت باب رقم (٥).

(٢) تقدم تحت باب رقم (٥).

١٦- هل الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة؟

٢٥- عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي رب، منعته الطعام، والشهوات بالنهار، فشفعني فيه، ويقول القرآن: منعته النوم بالليل، فشفعني فيه، قال: فيشفعان». أخرجه أحمد (٢/ ١٧٤)[١].

* * *

(١) ضعيف: ذكرته لأنبه على ضعفه؛ لأن بعض أهل العلم قد قواه، وأخرجه محمد بن نصر في «قيام الليل» (ص٢٥)، والحاكم (١/ ٥٥٤) من طريق حيي بن عبد الله عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو، وحيي ضعيف، وليس هناك ما يقوي تفرده، وضعف الحديث شيخنا مقبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الشفاعة» (١٧٠).
وفي باب شفاعة القرآن لقارئه والعامل به أحاديث، تقدم بعضها وانظر: كتاب «الشفاعة» لشيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ص٢٤١ وما بعد).

١٧- الصيام يباعد العبد من النار

٢٦- عَن أَبِي سَعِيدٍ الخُدرِيِّ ﷺ قَالَ: سَمِعتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «مَن صَامَ يَومًا فِي سَبِيلِ اللهِ[١] بَعَّدَ اللهُ وَجهَهُ عَن النَّارِ سَبعِينَ خَرِيفًا»[٢]. أخرجه البخاري (٢٨٤٠)، ومسلم (١١٥٣).

---

(١) قال القرطبي: «سبيل الله طاعة الله، فالمراد من صام قاصدًا وجه الله».

قال الحافظ: «ويحتمل أن يكون ما هو أعم من ذلك، ثم وجدته في «فوائد أبي الطاهر الذهلي» من طريق عبد الله بن عبد العزيز الليثي عن المقبري عن أبي هريرة بلفظ: «ما من مرابط يرابط في سبيل الله فيصوم يومًا في سبيل الله ...». الحديث.

وقال ابن دقيق العيد: «العرف الأكثر استعماله في الجهاد، فإن حمل عليه كانت الفضيلة لاجتماع العبادتين، قال: ويحتمل أن يراد بسبيل الله طاعته كيف كانت، والأول أقرب، ولا يعارض ذلك أن الفطر في الجهاد أولىٰ؛ لأن الصائم يضعف عن اللقاء كما تقدم تقريره في «باب من اختار الغزو علىٰ الصوم»؛ لأن الفضل المذكور محمول علىٰ من لم يخش ضعفًا، ولاسيما من اعتاد به فصار ذلك من الأمور النسبية، فمن لم يضعفه الصوم عن الجهاد فالصوم في حقه أفضل ليجمع بين الفضيلتين». «الفتح».

وقال النووي في «شرح مسلم» (١١٥٣): «وهو محمول علىٰ من لا يتضرَّر به، ولا يفوت به حقًّا، ولا يختلُّ به قتاله ولا غيره من مهمَّات غزوه».

(٢) قال القرطبي في المفهم (٣/ ٢١٧): «وقوله: «سبعين خريفًا»؛ أي: سنَة، وهو علىٰ جهة المبالغة في البُعد عن النار... و«الخرِيف»: ... هو الزمان الذي تخترف فيه الثمار».

هذا تشويق عظيم إلىٰ هذه العبادة العظيمة بهذا العمل اليسير؛ إذ إن من صام يومًا في سبيل الله خالصًا لوجهه تعالىٰ يُظفِرُه الله تعالىٰ بأن يباعد وجهه من النار بعدًا كبيرًا.

قال النووي[1]: «ومعناه: المباعدة عن النار، والمعافاة منها، سبعين سنة.

وإذا كان المراد بسبيل الله هنا الجهاد علىٰ قول الجمهور، فهذا أدعىٰ لهذه العبادة في حق المقيم الآمن، إذ إن المجاهد المتلقي لحر الشمس وقلة الزاد، وشدة البرد، وربما الخوف، قد رغبه النبي ﷺ إلىٰ الصيام بأن يباعد الله وجهه عن النار سبعين خريفًا.

فكان جديرًا بالمقيم الصحيح الآمن ألا يفرط في التزود من هذه العبادة. نسأل الله التوفيق والسداد».

❊ ❊ ❊

---

(١) «شرح مسلم» (١١٥٣).

١٨- الصيام جنة من النار

٢٧- عَن أَبِي هُرَيرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «الصِّيَامُ جُنَّةٌ فَلَا يَرفُث وَلَا يَجهَل وَإِن امرُؤٌ قَاتَلَهُ أَو شَاتَمَهُ فَليَقُل إِنِّي صَائِمٌ مَرَّتَينِ، وَالَّذِي نَفسِي بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطيَبُ عِندَ اللهِ تَعَالَىٰ مِن رِيحِ المِسكِ يَترُكُ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَشَهوَتَهُ مِن أَجلِي الصِّيَامُ لِي وَأَنَا أَجزِي بِهِ وَالحَسَنَةُ بِعَشرِ أَمثَالِهَا». أخرجه البخاري (١٨٩٤)، وأصله في مسلم أيضًا (١١٥١)، وسيأتي نصه -إن شاء الله تعالىٰ-.

٢٨- وعن عُثمَانُ بنَ أَبِي العَاصِ ﷺ سَمِعتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «الصِّيَامُ جُنَّةٌ مِن النَّارِ كَجُنَّةِ أَحَدِكُم مِن القِتَالِ». أخرجه ابن ماجه (١٦٣٩) وغيره[١].

الجُنَّة هي: الوقاية.

فكان في هذين الحديثين تشويق إلىٰ عبادة الصيام؛ لأن من منافعها العظيمة وآثارها الكريمة أن تقي العبد من النار.

---

(١) صحيح: وأخرجه أيضًا ابن أبي شيبة (٢/ ٤٢٣)، وأحمد (٢٦/ ٢٠٢) (١٦٢٧٣) (المؤسسة) وغيرهما. وقال شيخنا رَحِمَهُ اللهُ في «الصحيح المسند»: صحيح علىٰ شرط الشيخين.

ففي الوقت الذي يهرب فيه العبد من النار، ويتمنىٰ صاحب النار أن يفتدي منها بالقريب والبعيد، يقي الله سبحانه بلطفه ورحمته بمثل هذه العبادة العظيمة عبده من النار.

❊ ❊ ❊

١٩- العتق من النار

٢٩- عن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال: «**إن لله عز وجل عند كل فطر عتقاء**».

أخرجه أحمد (٥/ ٢٥٦)(١).

ما أجلها من نعمة، وما أعظمها، أن يؤمر بأقوام إلى النار وأنت أيها الصائم الصادق، قد سبق لك العتق من النار.

* * *

(١) حسن: وحسنه شيخنا في «الجامع الصحيح» (١٤٦١) وبوب عليه في كتاب الصيام: إن لله عز وجل عند كل فطر عتقاء.

٢٠- الصيام من أسباب دخول الجنة

٣٠- عَن أَبِي هُرَيرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَن آمَنَ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَصَامَ رَمَضَانَ كَانَ حَقًّا عَلَىٰ اللهِ أَن يُدخِلَهُ الجَنَّةَ جَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللهِ، أَو جَلَسَ فِي أَرضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا.

فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ أَفَلَا نُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ: إِنَّ فِي الجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللهُ لِلمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ، مَا بَينَ الدَّرَجَتَينِ كَمَا بَينَ السَّمَاءِ وَالأَرضِ، فَإِذَا سَأَلتُمُ اللهَ فَاسأَلُوهُ الفِردَوسَ، فَإِنَّهُ أَوسَطُ الجَنَّةِ، وَأَعلَىٰ الجَنَّةِ، أُرَاهُ فَوقَهُ عَرشُ الرَّحمَنِ، وَمِنهُ تَفَجَّرُ أَنهَارُ الجَنَّةِ». أخرجه البخاري (٢٧٩٠).

٣١- وعن أبي أمامة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يخطب الناس في حجة الوداع، وهو علىٰ الجدعاء، واضع رجله في غراز الرحل، يتطاول، يقول: «ألا تسمعون.

فقال رجل -من آخر القوم- ما تقول؟

قال ﷺ: اعبدوا ربكم، وصلوا خمسكم، وصوموا شهركم، وأدوا زكاة أموالكم، وأطيعوا ذا أمركم، تدخلوا جنة ربكم.

قلت له: فمذ كم سمعت هذا الحديث يا أبا أمامة؟

قال: وأنا ابن ثلاثين سنة». أخرجه أحمد (٥/ ٢٥١)[١].

في هذين الحديثين تبشير أهل أداء الفرائض التي منها الصيام : بالجَنَّةِ التي يسعىٰ إليها كل نبي وصالح تقي حتىٰ قال ﷺ: «**حولها ندندن**»[٢].

❋ ❋ ❋

(١) وحسنه: شيخنا في «الجامع الصحيح» (١٤٤٤).

(٢) صحيح: أخرجه أبو داود (٧٩٢)، وقال شيخنا في «الصحيح المسند» (١٤٦١): صحيح علىٰ شرط الشيخين.

٢١- باب الريان للصائمين

٣٢- عَن سَهلِ بن سعد الساعدي ﷺ عَن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ فِي الجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ: الرَّيَّانُ، يَدخُلُ مِنهُ الصَّائِمُونَ يَومَ القِيَامَةِ، لَا يَدخُلُ مِنهُ أَحَدٌ غَيرُهُم، يُقَالُ: أَينَ الصَّائِمُونَ؟ فَيَقُومُونَ، لَا يَدخُلُ مِنهُ أَحَدٌ غَيرُهُم، فَإِذَا دَخَلُوا أُغلِقَ، فَلَم يَدخُل مِنهُ أَحَدٌ». أخرجه البخاري (١٨٩٦)، ومسلم (١١٥٢).

قال الحافظ في «فتح»[(١)]: «قوله: «إن في الجنة بابًا» قال الزين بن المُنَيِّرِ: إنما قال: :«في الجنة» ولم يقل: (للجنة)؛ ليُشعِرَ بأن في الباب المذكور من النعيم والراحة في الجنة فيكون أبلغ في التشوق إليه.

قلت: وقد جاء الحديث من وجه آخر بلفظ «إن للجنة ثمانية أبواب، منها باب يسمىٰ الريان لا يدخله إلا الصائمون». أخرجه هكذا الجوزقي من طريق أبي غسان عن أبي حازم، وهو للبخاري[(٢)] من هذا الوجه في بدء الخلق، لكن قال: «في الجنة ثمانية أبواب».

قوله: «فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد». كرر نفي دخول غيرهم منه تأكيدًا، وأما قوله: «فلم يدخل» فهو معطوف علىٰ «أغلق»؛ أي: لم يدخل منه غير من دخل.

---

(١) «فتح الباري» (١٨٩٦).

(٢) البخاري (٣٢٥٧).

ووقع عند مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة عن خالد بن مخلد شيخ البخاري فيه «فإذا دخل آخرهم أغلق» هكذا في بعض النسخ من مسلم، وفي الكثير منها «فإذا دخل أولهم أغلق».

قال عياض وغيره: هو وهم. والصواب آخرهم ... وكذا أخرجه النسائي وابن خزيمة[١] من طريق سعيد بن عبد الرحمن وغيره وزاد فيه «من دخل شرب ومن شرب لا يظمأ أبدًا»، وللترمذي[٢] من طريق هشام بن سعد عن أبي حازم نحوه وزاد: «ومن دخله لم يظمأ أبدًا»، ونحوه للنسائي[٣]، والإسماعيلي من طريق عبد العزيز بن حازم عن أبيه لكنه وقفه، وهو مرفوع قطعًا لأن مثله لا مجال للرأي فيه». اهـ

قال النووي[٤]: «وفي هذا الحديث فضيلة الصيام وكرامة الصَّائمين».

قلت: كيف لا، والخلق يكونون في يوم قد دنت شَمسُهُ من الرءوس قدر ميل، واشتد حره، وسال العرق الشديد من الناس فيه، ففيه من يغوص فيه إلىٰ ركبتيه، ومنهم إلىٰ كتفيه، ومنهم من يغطه غطيطًا، ولكن الصائم الذي صبر علىٰ طاعة الصيام محتسبًا أجرها عند الله محسنًا أداءها كما أراد الله، يسلم -بإذن الله تعالىٰ- من تلك الشدة واللأوىٰ ويتمتع بهذا النعيم والراحة، حين يدعىٰ فيدخل من هذا الباب إلىٰ الجنة والرضوان، ورب غير غضبان. نسأل الله من فضله.

---

(١) أخرجه النسائي (٤/ ١٦٨)، وابن خزيمة (١٩٠٢)، وأحمد (٥/ ٣٣٥)، وأبو يعلىٰ (٧٥٢٩) وغيرهم.

(٢) الترمذي (٧٦٥).

(٣) النسائي (٤/ ١٦٨).

(٤) «شرح مسلم» (١١٥٢).

٣٣- وعَن أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَن أَنفَقَ زَوجَينِ(١) فِي سَبِيلِ اللهِ نُودِيَ مِن أَبوَابِ الجَنَّةِ(٢) يَا عَبدَ اللهِ هَذَا خَيرٌ، فَمَن كَانَ مِن أَهلِ الصَّلَاةِ دُعِيَ مِن بَابِ الصَّلَاةِ(٣)، وَمَن كَانَ مِن أَهلِ الجِهَادِ دُعِيَ مِن بَابِ الجِهَادِ، وَمَن كَانَ

---

(١) قال الحافظ في «الفتح» (١٨٩٧): «والمراد بالزوجين إنفاق شيئين من أي صنف من أصناف المال من نوع واحد».

قال القرطبي في المفهم (٣/ ٧٠-٧١): «قوله: «من أنفق زوجين في سبيل الله»، هكذا وقع في هذا اللفظ في كتاب مسلم. ووقع في البخاري: «من أنفق زوجين من شيء من الأشياء في سبيل الله». وهذا نصٌّ في عموم كل شيء يخرج في سبيل الله».

وقيل: يصح إلحاق جميع أعمال البرّ بالإنفاق. ويدلُّ على صحة هذا بقية الحديث؛ إذ قال فيه: «من كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الصيام».

«والزوج»: الصنف، وكذلك قيل في قوله تعالى: ﴿ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴾ [الواقعة:٧]، قال ابن عرفة: كل شيء قرن بصاحبه فهو زوج. ويقال: زوّجت الإبل: إذا قرنت واحداً بواحد.

زاد الهروي في هذا الحديث: قيل: وما زوجان؟ قال: «فرسان، أو عبدان، أو بعيران».

(٢) قال الحافظ: «إنما يدعى من جميع الأبواب على سبيل التكريم له، وإلا فدخوله إنما يكون من باب واحد، ولعله باب العمل الذي يكون أغلب عليه والله أعلم». «الفتح» (١٨٩٧).

(٣) قال القرطبي في «المفهم» (٣/ ٧١): «أي: من المكثرين لصلاة التطوُّع، فكذلك غيرها من أعمال البرّ المذكورة في هذا الحديث؛ لأن الواجبات لابُدَّ منها لجميع المسلمين، ومن ترك شيئًا من الواجبات إنما يخاف عليه أن ينادي من أبواب جهنم، فيستوي في القيام بها المسلمون كلهم، وإنما يتفاضلون بكثرة الطاعات التي بها تحصل تلك الأهلية التي بها ينادون من تلك الأبواب.

ولما فهم أبو بكر رضي الله عنه هذا المعنى قال: فهل يدعى أحد من تلك الأبواب؟ أي: هل =

مِن أَهلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِن بَابِ الرَّيَّانِ، وَمَن كَانَ مِن أَهلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِن بَابِ الصَّدَقَةِ.

فَقَالَ أَبُو بَكرٍ ﷺ: بِأَبِي أَنتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ. مَا عَلَىٰ مَن دُعِيَ مِن تِلكَ الأَبوَابِ مِن ضَرُورَةٍ، فَهَل يُدعَىٰ أَحَدٌ مِن تِلكَ الأَبوَابِ كُلِّهَا؟

قَالَ: نَعَم وَأَرجُو أَن تَكُونَ مِنهُم». أخرجه البخاري (١٨٩٧)، ومسلم (١٠٢٧).

قال القرطبي[1]: «وزن الرَّيَّان: فعلان، وهو الكثير الرِّيّ، الذي هو نقيض العطش، وسمِّي هذا الباب بهذا الاسم:لأنه جزاء الصائمين علىٰ عطشهم وجوعهم، اكتفىٰ بذكر الرِّي عن الشبع لأنه يدل عليه من حيث إنه يستلزمه .

قال الحافظ[2]: «أو لكونه أشق علىٰ الصائم من الجوع».

=

يحصل لأحد من أهل الإكثار من تطوعات البرِّ المختلفة ما يتأهل به؛ لأن يدعوه خزنة الجنة من كل باب من أبوابها؟

فقال له النبي ﷺ: «نعم أنت منهم»، فإنه ﷺ كان قد جمع خصال تلك الأبواب كلها، ألا ترىٰ أنه قال ﷺ في الحديث الآتي بعد هذا: «هل فيكم من أطعم اليوم مسكينًا؟».

فقال أبو بكر: أنا، قال: «هل فيكم من عاد مريضًا ؟» فقال أبو بكر: أنا.

وذكر مسلم في هذا الحديث من أبواب الجنة أربعة، وزاد غيره بقية الثمانية، فذكر فيها: باب التوبة، وباب: الكاظمين الغيظ، وباب: الراضين، والباب الأيمن الذي يدخل منه مَن لا حساب عليه، حكاه القاضي أبو الفضل». اهـ

قلت: والأمر في ثبوت ألفاظها، والله أعلم.

(١) «المفهم» (٣/ ٢١٦).

(٢) «الفتح» (١٨٩٦).

٢٢- عرض الأعمال وختمها صيام الإثنين والخميس

٣٤- عن أُسَامَةَ بنُ زَيدٍ ﷺ قَالَ: قُلتُ: «يَا رَسُولَ اللهِ، إنَّكَ تَصُومُ حَتَّىٰ لَا تَكَادَ تُفطِرُ، وَتُفطِرُ حَتَّىٰ لَا تَكَادَ أَن تَصُومَ، إِلَّا يَومَينِ إِن دَخَلَا فِي صِيَامِكَ وَإِلَّا صُمتَهُمَا؟

قَالَ: أَيُّ يَومَينِ؟ قُلتُ: يَومَ الإثنَينِ وَيَومَ الخَمِيسِ؟

قَالَ: ذَانِكَ يَومَانِ تُعرَضُ فِيهِمَا الأَعمَالُ عَلَىٰ رَبِّ العَالَمِينَ[(١)]، فَأُحِبُّ أَن يُعرَضَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ». أخرجه النسائي (٤/ ٢٠٢)[(٢)].

---

(١) قال السيوطي في «شرح النسائي» (٤/ ٢٠٢): «قال الشيخ ولي الدين: إن قلت: ما معنىٰ هذا مع أنه ثبت في «الصحيحين» أن الله تعالىٰ يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل.

قلت: يحتمل أمرين:

أحدهما: أن أعمال العباد تعرض علىٰ الله تعالىٰ كل يوم، ثم تعرض عليه أعمال الجمعة في كل إثنين وخميس، ثم تعرض عليه أعمال السنة في شعبان.

فتعرض عرضًا بعد عرض ولكل عرض حكمة يطلع عليها من يشاء من خلقه، أو يستأثر بها عنده، مع أنه تعالىٰ لا يخفىٰ عليه من أعمالهم خافية.

ثانيهما: أن المراد أنها تعرض في اليوم تفصيلًا ثم في الجمعة جملة أو بالعكس».

(٢) حسن: وأخرجه أبو داود (٢٤٣٦)، وحسنه شيخنا في «الجامع» (١٥٠٢)، وله شاهد عن أبي هريرة عند الترمذي (٧٤٧) يزداد به قوة.

في هذا الحديث نوع من أنواع الصيام وهو صيام الإثنين والخميس، وقد حث النبي ﷺ ورغب في ذلك بفعله كما في هذا الحديث والحديثين الآتيين وشوق إلىٰ صيامهما بأمر آخر وهو: أن الأعمال تعرض علىٰ الله في هذين اليومين.

فالسعيد السعيد من سعىٰ واجتهد في أن يعرض عمله علىٰ الله وهو صائم.

٣٥- وعَن أَبِي قَتَادَةَ الأَنصَارِيِّ رضي الله عنه قال: سُئِلَ ﷺ عَن صَومِ يَومِ الإِثنَينِ، قَالَ: «ذَاكَ يَومٌ وُلِدتُ فِيهِ، وَيَومٌ بُعِثتُ، أَو أُنزِلَ عَلَيَّ فِيهِ. قَالَ فَقَالَ: صَومُ ثَلَاثَةٍ مِن كُلِّ شَهرٍ، وَرَمَضَانَ إِلَىٰ رَمَضَانَ، صَومُ الدَّهرِ».

قَالَ: وَسُئِلَ عَن صَومِ يَومِ عَرَفَةَ؟ فَقَالَ: «يُكَفِّرُ السَّنَةَ المَاضِيَةَ وَالبَاقِيَةَ».

قَالَ وَسُئِلَ عَن صَومِ يَومِ عَاشُورَاءَ؟ فَقَالَ:«يُكَفِّرُ السَّنَةَ المَاضِيَةَ». أخرجه مسلم (١١٦٢).

٣٦- وعَن عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَت: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَحَرَّىٰ[1] صَومَ الإِثنَينِ وَالخَمِيسِ». أخرجه الترمذي (٧٤٥)[2].

* * *

(١) يتحرىٰ: أي يقصد صيامهما، ويرىٰ أنهما أولىٰ وأحرىٰ بالصيام من غيرهما من أيام الأسبوع.

(٢) صحيح، وأخرجه النسائي (٤/ ٢٠٣) وصححه شيخنا في «الجامع الصحيح» (١٥٠١).

٢٣- إنه صوم الدهر: الصوم من كل شهر ثلاثة أيام(١)

٣٧- عن عَبد اللهِ بن عَمرٍو رضي الله عنهما قَالَ: أُخبِرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنِّي أَقُولُ وَاللهِ لَأَصُومَنَّ النَّهَارَ، وَلَأَقُومَنَّ اللَّيلَ مَا عِشتُ.

فَقُلتُ لَهُ: قَد قُلتُهُ بِأَبِي أَنتَ وَأُمِّي.

قَالَ: «فَإِنَّكَ لَا تَستَطِيعُ ذَلِكَ، فَصُم، وَأَفطِر، وَقُم، وَنَم، وَصُم مِن الشَّهرِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَإِنَّ الحَسَنَةَ بِعَشرِ أَمثَالِهَا، وَذَلِكَ مِثلُ صِيَامِ الدَّهرِ.

قُلتُ: إِنِّي أُطِيقُ أَفضَلَ مِن ذَلِكَ.

قَالَ:فَصُم يَومًا وَأَفطِر يَومَينِ.

قُلتُ: إِنِّي أُطِيقُ أَفضَلَ مِن ذَلِكَ.

قَالَ: فَصُم يَومًا وَأَفطِر يَومًا، فَذَلِكَ صِيَامُ دَاوُدَ عليه السلام، وَهُوَ أَفضَلُ الصِّيَامِ.

فَقُلتُ: إِنِّي أُطِيقُ أَفضَلَ مِن ذَلِكَ.

---

(١) والأحاديث الواردة في هذا الباب لا تتعارض مع حديث أبي أيوب في مسلم (١١٦٤) عن النبي ﷺ: «مَن صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتبَعَهُ سِتًّا مِن شَوَّالٍ كَانَ كَصِيَامِ الدَّهرِ»؛ فإنه لا مانع أن يجمع الله تعالىٰ لمن فعل العبادتين -صيام رمضان ثم أتبعه بست من شوال، وصيام من كل شهر ثلاثة أيام- أجر الدهر مرتين؛ فإن فضل الله واسع يؤتيه من يشاء.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ :لَا أَفْضَلَ مِن ذَلِكَ». أخرجه البخاري (١٩٧٦)، ومسلم (١١٥٩) (١٨٩).

٣٨- وعَن أَبِي ذَرٍّ ﷺ قَالَ: «أَوصَانِي حَبِيبِي ﷺ بِثَلَاثَةٍ لَا أَدَعُهُنَّ -إِن شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ- أَبَدًا أَوصَانِي بِصَلَاةِ الضُّحَىٰ، وَبِالوَترِ قَبلَ النَّومِ، وَبِصِيَامِ ثَلَاثَةِ أَيَّامِ مِن كُلِّ شَهرٍ». أخرجه النسائي (٤/ ٢١٧-٢١٨)[1].

٣٩- وعن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «صوم شهر الصبر[2] وثلاثة أيام من كل شهر، صوم الدهر». أخرجه أحمد (٢/ ٢٦٣) (٧٥٧٧)[3].

٤٠- عَن أَبِي نَوفَلِ بنِ أَبِي عَقرَبٍ عَن أَبِيهِ قَالَ: سَأَلتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَن الصَّومِ؟ فَقَالَ: «صُم يَومًا مِن الشَّهرِ.

قُلتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، زِدنِي زِدنِي، قَالَ: تَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ زِدنِي زِدنِي، يَومَينِ مِن كُلِّ شَهرٍ.

قُلتُ: يَا رَسُولَ اللهِ زِدنِي زِدنِي إِنِّي أَجِدُنِي قَوِيًّا، فَقَالَ: زِدنِي زِدنِي أَجِدُنِي قَوِيًّا.

فَسَكَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّىٰ ظَنَنتُ أَنَّهُ لَيَرُدُّنِي قَالَ: صُم ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِن كُلِّ

(١) صحيح: وأخرجه أحمد (٥/ ١٧٣)، وصححه ابن خزيمة (٢١٢٢).

(٢) شهر الصبر يعني: شهر رمضان قال السندي في «حاشيه مسند أحمد» (١٣/ ٢٣): «سمي الصيام صبرًا؛ لما فيه من حبس النفس عن الطعام وغيره في النهار».

(٣) صحيح: وأخرجه النسائي (٤/ ٢١٨)، وصححه شيخنا في «الجامع الصحيح» (١٤٩٥) تحت باب: فضل صوم ثلاثة أيام من كل شهر.

شَهرٍ». أخرجه النسائي[١].

٤١- وعن قرة بن إياس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «صيام ثلاثة أيام من كل شهر، صيام الدهر، وإفطاره». أخرجه أحمد (٥/ ٣٤)[٢].

في هذه الأحاديث تشويق عظيم وحث ظاهر علىٰ صيام ثلاثة أيام من كل شهر، إذ ذلك صيام الدهر أي لمن فعل ذلك مخلصًا لوجه الله، مؤديًا الصيام كما أراده الله، وشرعه نبيه ﷺ كأجر صيام الدهر، وإذا كانت أيام البيض من الشهر، وهي: الثالث عشر، والرابع عشر، والخامس عشر، فيرجىٰ أن يكون في ذلك من الأجر والمثوبة ما هو أفضل مما سواه، لما ورد في ذلك من الأحاديث التي يقويها بعض أهل العلم[٣]، وإن كانت مفرقة من أيام الشهر فكذلك لا يُحرَم -بإذن الله تعالىٰ- هذا الأجر الجزيل والمثوبة العظيمة.

ويستفاد من هذا تفضل الله تعالىٰ علىٰ عباده بفتح أبواب الخير لهم ليتزودوا مما يوصلهم إليه، وينجيهم من عذابه ﷻ.

* * *

(١) صحيح: أخرجه النسائي(٤/ ٢٢٥)، وصححه شيخنا في «الجامع الصحيح» (١٤٩٧).

(٢) صحيح: وأخرجه البزار كما في «كشف الأستار» (١/ ٤٩٥) وغيره وصححه شيخنا في «الجامع الصحيح» (١٤٩٦)، والشيخ الألباني في «الصحيحة» (٢٨٠٦).

(٣) انظر: «الصحيحة» (٥٨٠) (١٥٦٧) للإمام الألباني.

٢٤- عظيم الأجر في صيام محرم

٤٢- عَن أَبِي هُرَيرَةَ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَفضَلُ الصِّيَامِ بَعدَ رَمَضَانَ شَهرُ اللهِ المُحَرَّمُ، وَأَفضَلُ الصَّلَاةِ بَعدَ الفَرِيضَةِ صَلَاةُ اللَّيلِ». أخرجه مسلم (١١٦٣)(١).

(١) انتقد هذا الحديث ولم يتم فيه الانتقاد.

قال الدارقطني في «التتبع» رقم (٢٦): «وأخرج مسلم حديث أبي عوانة، عَن أبي بشر، عَن حميد بن عبد الرحمن الحميري، عَن أبي هريرة، عَن النبي ﷺ: «أفضل الصيام بعد رمضان المحرم». قال: خالفه شعبه؛ رواه عَن أبي بشر، عَن حميد الحميري، مُرسَلاً، عَن النبي ﷺ». اهـ

قال شيخنا الإمام مقبل الوادعي متعقبًا عليه: «هذا الحديث من الأحاديث التي لم يجب أبو مسعود ولا النووي علىٰ الدارقطني، والظاهر أنه لا يضره إرسال شعبة؛ لأن أبا عوانة وهو وضاح بن عبد الله اليشكري حافظ ثقة، فزيادته مقبولة، ولاسيما وقد وصله عبد الملك بن عمير عن محمد بن المنتشر عن حميد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة ﵁ مرفوعًا، كما أخرجه مسلم عقب هذا الحديث.

وأخرجه أبو عوانة في «صحيحه» (٢/ ٣١٦)، والنسائي (٣/ ٤٢)، وابن ماجه (١/ ٥٥٤)، وأحمد (٢/ ٣٢٩)». اهـ

وسبق الشيخ بنحو هذا فضيلة الشيخ العلامة ربيع بن هادي -حفظه الله تعالىٰ-.

قال القرطبي[١]: «هذا إنما كان والله أعلم: من أجل أن المحرم أول السنة المستأنفة التي لم يجئ بعد رمضانها، فكان استفتاحها بالصوم الذي هو من أفضل الأعمال، والذي أخبر عنه ﷺ: «بأنه ضياء»[٢].

فإذا استفتح سنته بالضياء مشىٰ فيه بقيتها، والله تعالىٰ أعلم».

* * *

(١) «المفهم» (٣/ ٢٣٥).

(٢) أخرجه مسلم (٢٢٣) عن أبي مالك الأشعري ﷺ. وانظر: «الأربعين النووية» بتحقيقي.

٢٥- ستة أيام من شوال مع رمضان يعدل صيامها صيام الدهر[1]

(١) قال ابن القيم في «المنار المنيف» (١/ ٣٩-٤١): «وفي كونها من شوال سر لطيف وهو: أنها تجري مجرىٰ الجبران لرمضان، وتقضي ما وقع فيه من التقصير في الصوم، فتجري مجرىٰ سنة الصلاة بعدها، ومجرىٰ سجدتي السهو؛ ولهذا قال: «وأتبعه»؛ أي: ألحقها به.

وقد استدل بهذا من يستحب أو يجوز صيام الدهر كله ما عدا العيدين وأيام التشريق، ولا حجة له، بل هو حجة عليه، فإنه لا يلزم من تشبيه العمل بالعمل إمكان وقوع المشبه به فضلًا عن كونه مشروعًا، بل ولا ممكنًا كما في الحديث الصحيح.

ولهذا جعل صيام ثلاثة أيام من الشهر، وصيام رمضان وإتباعه بست من شوال، يعدل صيام ثلثمائة وستين يومًا، وذلك حرام غير جائز بالاتفاق.

فإنه وقع التشبيه في الثواب لا علىٰ تقدير كونه مشروعًا، بل ولا ممكنًا، كما في الحديث الصحيح وقد سئل عن الجهاد فقال للسائل: «هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تصوم فلا تفطر، وتقوم فلا تفتر؟

قال: لا. قال: ذلك مثل المجاهد».

والمقصود أنه لا يلزم من تشبيه الشيء بالشيء مساواته له.

ومثل هذا قوله: «من صلىٰ العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل، ومن صلىٰ العشاء والفجر في جماعة فكأنما قام الليل كله».

وهذا يدل علىٰ ما تقدم من تفضيل العمل الواحد علىٰ أمثاله وأضعافه من جنسه؛ فإنَّ من صلىٰ العشاء والفجر في جماعة ولم يصل بالليل، تعدل صلاته تلك صلاة من قام الليل =

٤٣- عَن أَبِي أَيُّوبَ الأَنصَارِيِّ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَن صَامَ رَمَضَانَ، ثُمَّ أَتبَعَهُ سِتًّا مِن شَوَّالٍ، كَانَ كَصِيَامِ الدَّهرِ». أخرجه مسلم (١١٦٤)[(١)].

قال القرطبي في «المفهم»: «هذا الحديث خرَّجه النسائي[(٢)] من حديث ثوبان، وقال فيه: قال ﷺ: «صيام شهر رمضان بعشرة أشهر، وصيام ستة بشهرين، فذلك صيام سنة».

وفي رواية أخرىٰ: «الحسنة بعشر، فشهر رمضان بعشرة أشهر، وستة بعد الفطر تمام السَّنة». وذكره أيضًا أبو عمر بن عبد البر هكذا.

فإن قيل: فيلزم علىٰ هذا مساواة الفرض النفل في تضعيف الثواب، وهو خلاف المعلوم من الشرع؛ إذ قد تقرر فيه: أن أفضل ما تقرب به المتقربون إلىٰ الله

=

كله، فإن كان هذا الذي قام الليل قد صلىٰ تينك الصلاتين في جماعة أحرز الفضل المحقق والمقدر، وإن صلىٰ الصلاتين وحده، وقام الليل كان كمن صلاهما في جماعة ونام بمنزله، إن صحت صلاة المنفرد.

وهذا كما تقدم من أن تفاضل الأعمال ليس بكثرتها وعددها وإنما هو بإكمالها وإتمامها وموافقتها لرضا الرب وشرعه». اهـ

(١) انتقد هذا الحديث القرطبي في «المفهم» (٣/ ٢٣٨-٢٣٩) وغيره، وقد دافع عنه الإمام العلائي برسالة مفردة وغيره، قلت: الحديث ثابت من هذا الوجه، ومن أوجه أخرىٰ كثيرة، فصلتها في تخريج أحاديث «المذكرة في أصول الفقه» والحمد لله.

(٢) صحيح: أخرجه النسائي (٢٨٦٠) (٢٨٦١) (الكبرىٰ)، وابن ماجه (١٧١٥)، وأحمد (٥/ ٢٨٠) وغيرهم كثير من طرق عن يحيىٰ بن الحارث الذماري عن أبي أسماء الرحبي عن ثوبان عن النبي ﷺ: «من صام رمضان فشهر بعشرة أشهر وصيام ستة أيام بعد الفطر فذلك تمام صيام السنة». هذا لفظ أحمد رَحِمَهُ اللهُ.

تعالىٰ ما افترض عليهم.

وبيان ذلك: أنه قد تقدم: أن صيام ثلاثة أيام من كل شهر صيام الدَّهر؛ أي: السَّنة، وهذه الثلاثة تطوُّع بالاتفاق، فقد لزم مساواة الفرض للنفل في الثواب.

والجواب: علىٰ تسليم ما ذكر -من أن ثواب الفرض أكثر- أن نقول: إن صيام ثلاثة أيام من كل شهر إنما صار بمنزلة صيام سنة بالتضعيف؛ لأن المباشر من أيامها بالصوم ثلاثة أعشارها، ثم لما جعل كل يوم بمنزلة عشر كملت السنة بالتضعيف.

وأما صوم رمضان مع الستة: فيصح أن يقال فيه: إنه بمنزلة سنة بوشرت بالصوم أيامها، ثم ضوعفت كل يوم من أيام السَّنة بعشر، فتضاعف العدد، فصارت هذه السنة بمنزلة ثنتي عشرة سنة بالتضعيف، وذلك أن السنة ثلثمائة وستون يومًا، فإذا ضَرَبتَ ثلثمائة وستين في عشرة صارت ثلاثة آلاف وستمائة.

وإنما صرنا إلىٰ هذا التأويل للحديث الصحيح المتقدم في تفضيل الفرض علىٰ غيره، لما علم من الشرع: أن أجر الثواب علىٰ العمل علىٰ القرب محدود بعشر، وأما أكثره فليس بمحدود؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٦١]، بعد ذكر مراتب التضعيف المذكورة في الآية؛ التي هي: عشر، وسبعون، وسبعمائة، والمضاعفة المطلقة.

وكذا قال ﷺ فيما رواه ابن عباس رضي الله عنهما: «**الحسنة بعشر أمثالها إلىٰ سبعمائة ضعف، إلىٰ أضعاف كثيرة**»(١)، والله تعالىٰ أعلم.

وقد أخذ بظاهر هذا الحديث -أعني: حديث أبي أيوب- جماعة من

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٩١)، ومسلم (١٣١).

العلماء، فصاموا هذه الستة إثر يوم الفطر؛ منهم: الشافعي، وأحمد بن حنبل. وكره مالك وغيره ذلك، وقال في «موطئه»: لم أر أحدًا من أهل العلم والفقه يصومها، ولم يبلغني ذلك عن أحد من السَّلف، وأهل العلم يكرهون ذلك، ويخافون بدعته، وأن يُلحق برمضان ما ليس منه أهلُ الجهالة والجفاء.

قلت: ويظهر من كلام مالك هذا: أن الذي كرهه هو وأهل العلم، الذين أشار إليهم، إنما هو أن توصل تلك الأيام الستة بيوم الفطر، لئلا يظن أهل الجهالة والجفاء أنها بقية من صوم رمضان، وأما إذا باعد بينها وبين يوم الفطر فيبعد ذلك التوهم، وينقطع ذلك التخيل، ومما يدل على اعتبار هذا المعنى: أن النبي ﷺ قد حمى حماية الزيادة في رمضان من أوله بقوله: «لا يتقدمن أحدكم رمضان بصوم يوم ولا يومين».

وإذا كان هذا في أوله فينبغي أن تحمى الذريعة أيضًا من آخره، فإن توهم الزيادة أيضًا فيه متوقع، فأما صومها متباعدة عن يوم الفطر، بحيث يؤمن ذلك المتوقع فلا يكرهه مالك ولا غيره. وقد روى مُطَرِّف عن مالك: أنه كان يصومها في خاصة نفسه. قال مُطَرِّف: وإنما كره صيامها لئلا يلحق أهل الجهالة ذلك برمضان، فأما من رغب في ذلك لما جاء فيه فلم ينهه.

وقال بعض علمائنا: لو صام هذه الستة في غير شوال لكانت إذا ضُمَّت إلى صوم رمضان صيام الدَّهر؛ لأن الحسنة بعشر أمثالها، كما ذكره في الحديث، وإنما خصَّ شوال بالذكر لسهولة الصوم فيه؛ إذ كانوا قد تعودوه في رمضان». اهـ

قلت: الصحيح أنه لا كراهة في صيامها سواء كانت بعد يوم العيد مباشرة وهذا أفضل لقوله: «ثم أتبعه» أو كانت في أي أيام شوال، مجموعة كانت أو

مفرقة فإنه يشمله لفظ الحديث.

قال القرطبي: «ثم أتبعه ستًّا من شوال»؛ ليس فيه دليل علىٰ أنها تكون متصلة بيوم من الفطر، بل لو أوقعها في وسط شوال، أو آخره، لصلح تناول هذا اللفظ له؛ لأن «ثم» للتراخي، وكل صوم يقع في شوال فهو متبع لرمضان، وإن كان هنالك مهلة.

وقد دل علىٰ صحة هذا قوله في حديث النسائي: «وستة بعد الفطر»، ولذلك نقول: إن الأجر المذكور حاصل لصائمها؛ مجموعة أوقعها أو مفترقة؛ لأن كل يوم بعشر مطلقًا، والله تعالىٰ أعلم».

* * *

٢٦- صوم أكثر شعبان فيه أجر عظيم وترفع فيه الأعمال

٤٤- عَن أُسَامَةَ بنِ زَيدٍ قَالَ: قُلتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَم أَرَكَ تَصُومُ شَهرًا مِن الشُّهُورِ مَا تَصُومُ مِن شَعبَانَ؟

قَالَ: «ذَلِكَ شَهرٌ يَغفُلُ النَّاسُ عَنهُ بَينَ رَجَبٍ وَرَمَضَانَ وَهُوَ شَهرٌ تُرفَعُ فِيهِ الأَعمَالُ إِلَىٰ رَبِّ العَالَمِينَ فَأُحِبُّ أَن يُرفَعَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ». أخرجه النسائي[1].

٤٥- عَن عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَت: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَصُومُ حَتَّىٰ نَقُولَ: لَا يُفطِرُ، وَيُفطِرُ حَتَّىٰ نَقُولَ: لَا يَصُومُ، فَمَا رَأَيتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ استَكمَلَ صِيَامَ شَهرٍ إِلَّا رَمَضَانَ، وَمَا رَأَيتُهُ أَكثَرَ صِيَامًا مِنهُ فِي شَعبَانَ». أخرجه البخاري (١٩٦٩)، ومسلم (١١٥٦) (١٧٥).

قال الحافظ[2]: «والمعنىٰ كان يصوم في شعبان وغيره، وكان صيامه في شعبان تطوعًا أكثر من صيامه فيما سواه.

---

(١) سنده حسن: أخرجه النسائي(٤/ ٢٠١-٢٠٢)، وحسنه الشيخ الألباني في «الصحيحة» (١٨٩٨).

(٢) «الفتح» (١٩٦٩) (٤/ ٢٧٢-٢٧٣).

وفي الحديث دليل علىٰ فضل الصوم في شعبان، وأجاب النووي[(١)] عن كونه لم يكثر من الصوم في المحرم مع قوله «إن أفضل الصيام ما يقع فيه»[(٢)]؛ بأنه يحتمل أن يكون ما علم ذلك إلا في آخر عمره، فلم يتمكن من كثرة الصوم في المحرم، أو اتفق له فيه من الأعذار بالسفر والمرض مثلًا ما منعه من كثرة الصوم ﷺ.

❋ ❋ ❋

(١) «شرح مسلم» (١١٥٦).

(٢) سبق برقم (٤١).

٢٧- تتمة وتنبيه على صيام الدهر

لما سبق من الفضل العظيم والأجور المتكاثرة في الصيام، فقد صام جماعة من السلف الدهر.

قال النووي في «المجموع»[1]: «فرع في تسمية بعض الأعلام من السلف والخلف ممن صام الدهر غير أيام النهي -الخمسة: العيدين والتشريق- فمنهم:

عمر بن الخطاب، وابنه عبد الله، وأبو طلحة الأنصاري، وأبو أمامة وامرأته، وعائشة رضي الله عنهم.

وذكر البيهقي ذلك عنهم بأسانيده، وحديث أبي طلحة في «صحيح البخاري».

ومنهم: سعيد بن المسيب، وأبو عمرو بن حماس -بكسر الحاء المهملة وآخره سين- وسعيد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف التابعي، سرده أربعين سنة، والأسود بن يزيد صاحب ابن مسعود، ومنهم البويطي، وشيخنا أبو إبراهيم إسحاق بن أحمد المقدسي الفقيه الإمام الزاهد». اهـ

لكن اعلم أن هذا في صحته عن بعضهم نظر، ومهما كان فإن الخير والبركة في اتباع السنة وهو ما سبق لك بيانه من:

صيام المفروض: وهو رمضان، أو قضاء ما فاتك منه بعذر، أو وفاء بنذر،

---

(١) «المجموع شرح المهذب» (٦/ ٣٩٠).

هذا صيام واجب.

وأما المستحب فتقدمت لك صوره وهي كثيرة منها:

١- صوم يوم وإفطار يوم وهذا صوم داود وهو أفضلها.

٢- صوم يوم وإفطار يومين.

٣- صوم الخميس والإثنين.

٤- الصوم من الشهر ثلاثة أيام ويفضل أن تكون أيام البيض.

٥- صوم تاسوعاء وعاشوراء.

٦- صيام ستة من شوال.

٧- الإكثار من الصيام في محرم.

٨- الإكثار من الصيام في شعبان.

وأما تخصيص رجب بالصيام فهو من البدع المحدثة التي تَحَلَّت بها الصوفية والشيعة، فلم يثبت فيه حديث، ولم يثبت صيامه عن أحد من السلف، وقد صنف الحافظ ابن حجر رسالة مفردة في بيان هذا.

وقال الإمام ابن القيم: «ولا صام -يعني: النبي ﷺ- رجب قط، ولا استحب صيامه»[1].

❊ ❊ ❊

---

(١) «زاد المعاد» (٢/ ٦٤-٦٥).

٢٨- حكم صيام الدهر

اعلم أن صيام الدهر مكروه علىٰ الصحيح.

قال العلامة ابن القيم في بيان ذلك[١]: «ولم يكن من هديه ﷺ سرد الصوم، وصيام الدهر، بل قد قال: «مَن صَامَ الدَّهرَ لَا صَامَ وَلَا أَفطَرَ»[٢].

وليس مراده بهذا من صام الأيام المحرمة، فإنه ذكر ذلك جوابًا لمن قال: أرأيت من صام الدهر؟ ولا يقال في جواب من فعل المحرم: «لَا صَامَ وَلَا أَفطَرَ»؛ فإن هذا يؤذن بأنه سواء فطره وصومه لا يثاب عليه ولا يعاقب، وليس كذلك من فعل ما حرم الله عليه من الصيام، فليس هذا جوابًا مطابقًا للسؤال عن المحرم من الصوم.

وأيضًا فإن هذا عند من استحب صوم الدهر قد فعل مستحبًّا وحرامًا، وهو عندهم قد صام بالنسبة إلىٰ أيام الاستحباب، وارتكب محرمًا بالنسبة إلىٰ أيام التحريم، وفي كل منهما لا يقال: «لَا صَامَ وَلَا أَفطَرَ».

فتنزيل قوله علىٰ ذلك غلط ظاهر.

وأيضًا؛ فإن أيام التحريم مستثناة بالشرع غير قابلة للصوم شرعًا؛ فهي

---

(١) «زاد المعاد» (٢/ ٨٠-٨٣).

(٢) سبق تخريجه برقم (١٦) عن أبي قتادة ﷺ.

بمنزلة الليل شرعًا، وبمنزلة أيام الحيض، فلم يكن الصحابة ليسألوه عن صومها وقد علموا عدم قبولها للصوم، ولم يكن ليجيبهم لو لم يعلموا التحريم بقوله: «لَا صَامَ وَلَا أَفطَرَ»؛ فإن هذا ليس فيه بيان للتحريم.

لا شك فيه أن صيام يوم وفطر يوم أفضل من صوم الدهر وأحب إلىٰ الله، وسرد صيام الدهر مكروه؛ فإنه لو لم يكن مكروهًا لزم أحد ثلاثة أمور ممتنعة أن يكون أحب إلىٰ الله من صوم يوم وفطر يوم، وأفضل منه؛ لأنه زيادة عمل وهذا مردود بالحديث الصحيح. **«إن أحب الصيام إلىٰ الله صيام داود وإنه لا أفضل منه»**.

وإما أن يكون مساويًا في الفضل وهو ممتنع أيضًا، وإما أن يكون مباحًا متساوي الطرفين لا استحباب فيه ولا كراهة وهذا ممتنع؛ إذ ليس هذا شأن العبادات، بل إما أن تكون راجحةً أو مرجوحةً، والله أعلم.

فإن قيل: فقد قال النبي ﷺ: **«مَن صَامَ رَمَضَانَ وَأَتبَعَهُ سِتَّةَ أَيَّامٍ مِن شَوَّالٍ فَكَأَنَّمَا صَامَ الدَّهرَ»**.

وقال فيمن صام ثلاثة أيام من كل شهر: **«إنَّ ذَلِكَ يَعدِلُ صَومَ الدَّهرِ»**؛ وذلك يدل علىٰ أن صوم الدهر أفضل مما عدل به، وأنه أمر مطلوب وثوابه أكثر من ثواب الصائمين حتىٰ شبه به من صام هذا الصيام.

قيل: نفس هذا التشبيه في الأمر المقدر لا يقتضي جوازه فضلًا عن استحبابه، وإنما يقتضي التشبيه به في ثوابه، لو كان مستحبًا، والدليل عليه من نفس الحديث؛ فإنه جعل صيام ثلاثة أيام من كل شهر بمنزلة صيام الدهر إذ الحسنة بعشر أمثالها، وهذا يقتضي أن يحصل له ثواب من صام ثلثمائة وستين

يومًا، ومعلوم أن هذا حرام قطعًا فعلم أن المراد به حصول هذا الثواب علىٰ تقدير مشروعية صيام ثلثمائة وستين يومًا.

وكذلك قوله في صيام ستة أيام من شوال: «إِنَّهُ يَعدِلُ مَعَ صِيَامِ رَمَضَانَ السَّنَةَ» ثُمَّ قَرَأَ ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام:١٦٠].

فهذا صيام ستة وثلاثين يومًا تعدل صيام ثلثمائة وستين يومًا، وهو غير جائز بالاتفاق، بل قد يجيء مثل هذا فيما يمتنع فعل المشبه به عادة بل يستحيل، وإنما شبه به من فعل ذلك علىٰ تقدير إمكانه كقوله لمن سأله عن عمل يعدل الجهاد: «**هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تقوم ولا تفتر وأن تصوم ولا تفطر؟**»[١].

ومعلوم أن هذا ممتنع عادة كامتناع صوم ثلثمائة وستين يومًا شرعًا، وقد شبه العمل الفاضل بكل منهما يزيده وضوحًا: أن أحب القيام إلىٰ الله قيام داود وهو أفضل من قيام الليل كله بصريح السنة الصحيحة، وقد مثل من صلىٰ العشاء الآخرة والصبح في جماعة بمن قام الليل كله؛ فإن قيل فما تقولون في حديث أبي موسىٰ الأشعري ﷺ: «مَن صَامَ الدَّهرَ ضُيِّقَت عَلَيهِ جَهَنَّمُ حَتَّىٰ تَكُونَ هَكَذَا». وَقَبَضَ كَفَّهُ.

وهو في «مسند أحمد»[٢]؟

---

(١) سبق تخريجه برقم (٥).

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ٤١٤)، الطيالسي في «مسنده» (٥١٤)، والبيهقي (٤/ ٣٠٠)، وابن حبان (٣٥٨٤) وغيرهما عن الضحاك بن يسار عن أبي تميمة عن أبي موسىٰ ﷺ عن النبي ﷺ به.

وقواه الألباني في «الصحيحة» (٣٢٠٢).

قيل: قد اختلف في معنىٰ هذا الحديث.

فقيل: ضيقت عليه حصرًا له فيها لتشديده علىٰ نفسه وحمله عليها ورغبته عن هدي رسول الله ﷺ واعتقاده أن غيره أفضل منه.

وقال آخرون: بل ضيقت عليه فلا يبقىٰ له فيها موضع ورجحت هذه الطائفة هذا التأويل بأن الصائم لما ضيق علىٰ نفسه مسالك الشهوات وطرقها بالصوم ضيق الله عليه النار فلا يبقىٰ له فيها مكان؛ لأنه ضيق طرقها عنه، ورجحت الطائفة الأولىٰ تأويلها بأن قالت: لو أراد هذا المعنىٰ لقال: ضيقت عنه وأما التضييق عليه فلا يكون إلا وهو فيها.

قالوا: وهذا التأويل موافق لأحاديث كراهة صوم الدهر، وأنَّ فاعله بمنزلة من لم يصم، والله أعلم.

وقد سبق لك ذكر فائدة حول هذا عند حديث أبي قتادة برقم (١٦).

* * *

المشوق إلى قيام الليل

«اعلم -رحمنا الله وإياك- أن الله ﷻ أثنىٰ علىٰ المتهجدين في الليل، فأحسن عليهم الثناء ووعدهم أحسن ما يكون من الوعد الجميل.

ورغب النبي ﷺ علىٰ قيام الليل، وحث أمته عليه.

وهكذا العلماء رغبوا فيه، وحثوا علىٰ قيامه، ونَبُلَ عند جميع المسلمين من كان له حظ في قيام الليل.

فنحن نبين لإخواننا ما فيه من الفضل العظيم والحظ الجزيل؛ ليكون الراغب في قيام الليل علىٰ بصيرة من أمره، يتاجر مولاه الكريم بعلم، ويحسن الخدمة للمولىٰ رجاء القربة منه.

فأما ما وصف الله ﷻ به المتقين من أخلاقهم الشريفة في الدنيا التي أعقبتهم عند الله ﷻ شرف المنازل في دار السلام؛ فأثنىٰ عليهم بما تفضل به عليهم ووفقهم له؛ فله الحمد علىٰ ذلك:

قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات:١٥-١٨].

فوصفهم -جل ذكره- بقلة النوم أنهم أكثر ليلهم قيامًا إلىٰ السحر، ثم أخذوا عند السحر في الاستغفار لما سلف منهم مما لا يرضيه، وإشفاقًا منهم علىٰ أعمالهم الصالحة، ألَّا ترضيه.

أفترىٰ الكريم لا يجيبهم، بل يجيبهم وهو أكرم من ذلك.

ثم قال -جل ذكره- فيما وصف به عباده من الأخلاق التي شرفهم بها فقال: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴾ [الفرقان:٦٣-٦٤].

فوصفهم -جل ذكره- أنهم في مبيتهم في ليلهم ليس هم كغيرهم من سائر الناس، وذلك أن أكثر الخلق يتلذذون بالنوم، وهؤلاء (استأثروا) الخدمة لمولاهم الكريم.

ثم وصفهم -جل ذكره- في موضع آخر فقال: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [السجدة:١٦].

وقال الله ﷻ: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [الزمر:٩].

تدبروا -رحمكم الله- ما تسمعون من مولاكم الكريم كيف يخبر بكثرة سجودهم وطول قيامهم وحسن خدمتهم.

ثم أخبر عنهم بعد هذا الكدِّ الشديد، أنهم علىٰ حذر مما حذرهم من عظيم شأن الآخرة، وشدة أهوالها، وأن الغالب علىٰ قلوبهم شدة الخوف، والوجل، مع المسارعة فيما يرضيه، وكذلك وصفهم في موضع آخر من كتابه فقال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴾ [المؤمنون:٥٧-٦١].

وقال ﷻ: ﴿ ۞ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ

ٱلَّيۡلِ وَهُمۡ يَسۡجُدُونَ ﴾ [آل عمران:١١٣]. فأخبر ﷻ عن تلاوتهم للقرآن في الليل، تارة قيامًا، وتارة لله سجدًا.

قال عبد الله بن المبارك فيما وصف به أهل التهجد في الليل :

قد حملوا الليل أبدانا مُذللة ... وأنفسنا لا دنيات ولا دون
وراوَحوا بين أقدام لهم صبر ... وأوجُهٍ عَفَّروا منها العَرانِين

وقال ابن المبارك :

إذا ما الليل أظلم كابدوه ... فيُسفرَ عنهم وهم ركوع
أطار الخوفُ نومهم فقاموا ... وأهلُ الأمن في الدنيا هُجوع[1]

❊ ❊ ❊

(١) «فضل قيام الليل» (٧٣-٧٨) (دار الخضيري) للإمام الآجري -رحمه الله تعالىٰ-.

١- مسألتان مهمتان

المسألة الأولىٰ: حكم قيام الليل والتهجد بالنسبة للنبي ﷺ.

اختلف العلماء في هذه المسألة علىٰ قولين:

الأول: أنه واجب في حق النبي ﷺ وهذا مذهب مروي عن ابن عباس وهو أحد قولي الشافعي ورجحه ابن جرير في «تفسيره» واستدلوا بأدلة منها: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ ﴾ [الإسراء:٧٩].

وقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ﴾ [المزمل:١-٤].

الثاني: إنه مستحب للنبي ﷺ غير واجب، وهذا ظاهر صنيع البخاري في «صحيحه»، وترجيح النووي والشوكاني.

قال مكي: «هو قول كافة أهل العلم»(١)، والصحيح أنه استقر في حق النبي ﷺ علىٰ الاستحباب.

---

(١) انظر: «تفسير الطبري»، و«تفسير ابن كثير»، و«فتح القدير» عند آية الإسراء [٧٩]، والمزمل [١]، و«زاد المعاد» (١/ ٣٢٢)، و«الفتح» (٣/ ٢٢)، و«شرح النووي لمسلم» (٦/ ٢٦٩)، و«إكمال المعلم» (٣/ ٩٥)، و«المجموع» (٤/ ٤٥)، و«المفهم» (٢/ ٣٧٨و٣٧٣).

المسألة الثانية: حكم القيام للأمة أجمع:

قال النووي في «شرح مسلم» في شرح قول عائشة «فصار -أي: قيام الليل- تطوعًا بعد فريضة»: «هذا ظاهره أنه صار تطوعًا في حق رسول الله ﷺ والأمة، فأما الأمة فهو تطوع في حقهم بالإجماع».

قال ابن عبد البر في «التمهيد»: «قيام الليل سنة مسنونة لا ينبغي تركها فطوبىٰ لمن يسر لها وأعين عليها؛ فإن رسول الله ﷺ قد عمل بها وندب إليها».

ونقل بعضهم الإجماع علىٰ هذا ولم يعتبر بالمخالف فيه.

قال ابن عبد البر في «التمهيد» (٨/ ١٢٤): «وأوجب بعض التابعين قيام الليل فرضًا ولو كقدر حلب شاة، وهو قول شاذ متروك؛ لإجماع العلماء علىٰ أن قيام الليل منسوخ عن الناس بقوله ﷻ: ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْءَانِ﴾ [المزمل: ٢٠]».

وقال النووي في «شرح مسلم»: «وأما ما حكاه القاضي عياض من بعض السلف أنه يجب علىٰ الأمة من قيام الليل ما يقع عليه الاسم، ولو قدر حلب شاة فغلط ومردود بإجماع من قبله مع النصوص الصحيحة أنه لا واجب إلا الصلوات الخمس»(١).

---

(١) مثلما أخرجه البخاري (٤٦)، ومسلم (١١) عن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه وفيه: «خمس صلوات في اليوم والليلة.

قال هل عليَّ غيرها؟ قال: لا، إلا أن تطوع».

وحديث ابن عباس رضي الله عنهما عند البخاري (١٣٩٥)، ومسلم (١٩) وفيه: «فاعلم أن الله قد افترض عليهم خمس صلوات في كل يومٍ وليلةٍ».

قال شيخ الإسلام كما في «مجموع الفتاوى» (٢٣/ ٨٤): «وقد روي عن عبيدة السلماني: أن قيام الليل واجب لم ينسخ ولو كحلب شاة، وهذا إذا أريد به ما يتناول صلاة الوتر فهو قول كثير من العلماء». اهـ

قلت: الوجوب منقول عن أبي حنيفة، قال ابن المنذر رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «ولا أعلم أحدًا وافق أبا حنيفة في هذا».

* * *

(١) «الأوسط» (٥/ ١٦٧-١٦٨).

٢- الحث على قيام الليل

٤٦/ ١- عن عَبدَ اللهِ بنَ أَبِي قَيسٍ يَقُولُ قَالَت عَائِشَةُ ﵂: «لَا تَدَع قِيَامَ اللَّيلِ؛ فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ لَا يَدَعُهُ، وَكَانَ إِذَا مَرِضَ، أَو كَسِلَ، صَلَّىٰ قَاعِدًا». أخرجه أبو داود (١٣٠٧)[١].

فإذا كان النبي ﷺ الذي قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر يفعل هذا، فالمسلم الذي قلما يسلم من الذنوب أولىٰ بهذه العبادة والمحافظة عليها.

أضف إلىٰ ذلك حث عائشة ﵂ لهذا التابعي المخضرم. نسأل الله أن يوفقنا لطاعته.

* * *

(١) صحيح: وأخرجه أحمد (٦/ ٢٤٩)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٨٠٠) من طريق أبي داود الطيالسي في «مسنده» (١٥١٩): أخبرنا شعبة عن يزيد بن خمير قال: سمعت عبد الله بن قيس [أخطأ شعبة فقال: عبد الله بن أبي موسىٰ]، قال قالت لي عائشة ...». الحديث.

وسنده صحيح، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح أبي داود» (١١٨٠).

٣- أجر القيام لمن نوى القيام ثم غلبته عينه فنام

٤٧/ ٢- عن أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن أَتَىٰ فِرَاشَهُ وَهُوَ يَنوِي أَن يَقُومَ فَيُصَلِّيَ مِن اللَّيلِ، فَغَلَبَتهُ عَينُهُ حَتَّىٰ يُصبِحَ، كُتِبَ لَهُ مَا نَوَىٰ، وَكَانَ نَومُهُ صَدَقَةً عَلَيهِ مِن رَبِّهِ». أخرجه النسائي (٣/ ٢٥٨)، وابن ماجه (١٣٤٤)[1].

قال الآجري: «هذا -والله أعلمُ- علىٰ قدر شدة الأسف علىٰ ما فاته من ليلته كيف شغل عنها حتىٰ فاته القيام؟ فقد أخذ نفسه بالتحرز فيما يستقبل خوفًا أن يفوته وِردُهُ ثانية». اهـ

وفيه مزيد تفضل الله علىٰ عباده، وعظيم إنعامه عليهم، وجميل تشويق من الله سبحانه للعباد، لتحسين نواياهم؛ لتكثير عباداتهم، وتقربهم إليه تعالىٰ.

* * *

(١) صحيح: وأخرجه الحاكم (١/ ٣١١)، والآجري في كتاب «فضل قيام الليل» (٢٣)، والبيهقي (٣/ ١٥)، وصححه الشيخ الألباني في «الإرواء» (٤٥٤).
وفي الباب عن عائشة أخرجه النسائي (٣/ ٢٥٧)، وأبو داود(١٣١٤) وغيرهم، وحسنه الألباني في «الإرواء» (٤٥٤).

٤- دعاء النبي ﷺ بالرحمة لمن قام من الليل وأيقظ أهله

٤٨/ ٣- عَن أَبِي صَالِحٍ عَن أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «رَحِمَ اللهُ رَجُلًا قَامَ مِن اللَّيلِ فَصَلَّىٰ وَأَيقَظَ امرَأَتَهُ فَإِن أَبَت نَضَحَ فِي وَجهِهَا المَاءَ، رَحِمَ اللهُ امرَأَةً قَامَت مِن اللَّيلِ فَصَلَّت وَأَيقَظَت زَوجَهَا، فَإِن أَبَىٰ نَضَحَت فِي وَجهِهِ المَاء». أخرجه أبو داود (١٣٠٨)[١].

في هذا الحديث الدعاء من النبي ﷺ بالرحمة لمن قام من الليل، ثم سعىٰ في تنبيه زوجته، أو الزوجة في تنبيه زوجها.

وهذا فضل عظيم في قيام الليل، وحث بيِّن علىٰ ذلك، ولو بطريق رش الماء في الوجه، الذي يفزع النائم من نومه، ولكن لما يترتب علىٰ ذلك من الخير رُغِبَ فيه من الزوج لزوجته، ومن الزوجة لزوجها، ولا يخرجان في ذلك عن قصد التعاون علىٰ البر والتقوىٰ، والتعاضد علىٰ فعل الخير.

❊ ❊ ❊

---

(١) وأخرجه أحمد (٢/ ٢٥٠و٤٣٦)، والنسائي(٣/ ٢٠٥)، وابن ماجه (١٣٣٦)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح أبي داود» (١١٨١).

٥- قيام الليل من أوصاف الأبرار

٤٩/ ٤- عن أنس ﷺ قال: «كان رسول الله ﷺ إذا اجتهد لأحد في الدعاء قال: جعل الله عليكم صلاة قوم أبرار، يقومون الليل و يصومون النهار، ليسوا بأثمة[١] ولا فجار». أخرجه عبد بن حميد في «المنتخب» (١٣٥٨)[٢].

في هذا الحديث أن النبي ﷺ عند اجتهاد ه لأحد في الدعاء يقول: «جعل الله عليكم صلاة» -أي: دعاء- «قوم أبرار» -من أوصافهم- «يقومون الليل» فدل ذلك علىٰ أن القائم من الليل لربه، والمتضرع إليه، من الأبرار الذين يرجىٰ استجابة دعائهم، لاسيما إذا انضم إلىٰ ذلك بقية الأوصاف المذكورة من صيام النهار، والبعد عن الإثم والفجور.

* * *

(١) أي: ذوي إثم. «ولا فجار» جمع فاجر: وهو الفاسق.

(٢) صححه شيخنا في «الجامع الصحيح» (١٠٧٩)، وبوب عليه «فضل قيام الليل».

قلت: قال أبو الفضل بن الشهيد في «علله» (٣٢): رفع هذا الحديث إلىٰ النبي ﷺ خطأ، وأحسبه من عبد بن حميد. اهـ

وصحح الحديث المقدسي في «المختارة»، والألباني في «الصحيحة» (١٨١٠).

٦- من قام من الليل يصبح طيب النفس نشيطًا

٥٠/ ٥- عَن أَبِي هُرَيرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «يَعقِدُ الشَّيطَانُ عَلَىٰ قَافِيَةِ رَأسِ أَحَدِكُم إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ، يَضرِبُ كُلَّ عُقدَةٍ، عَلَيكَ لَيلٌ طَوِيلٌ فَارقُد، فَإِن استَيقَظَ فَذَكَرَ اللهَ انحَلَّت عُقدَةٌ، فَإِن تَوَضَّأَ انحَلَّت عُقدَةٌ، فَإِن صَلَّىٰ انحَلَّت عُقدَةٌ، فَأَصبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفسِ، وَإِلَّا أَصبَحَ خَبِيثَ النَّفسِ كَسلَانَ». متفق عليه(١).

بوب البخاري علىٰ هذا الحديث في (كتاب التهجد)، باب: عقد الشيطان علىٰ قافية الرأس إذا لم يصل الليل. اهـ

فعلم من هذا الحديث أن القيام لصلاة الليل انحلال من عقد الشيطان وسير إلىٰ الله تعالىٰ صادق.

قال الحافظ في «الفتح»: «قوله: «طيب النفس»؛ أي: لسروره بما وفقه الله له من الطاعة، وبما وعده من الثواب، وبما زال عنه من عقد الشيطان. كذا قيل، والذي يظهر أن في صلاة الليل سِرًّا في طيب النفس، وإن لم يستحضر المصلي شيئًا مما ذكر، وكذا عكسه، وإلىٰ ذلك الإشارة بقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـًٔا وَأَقۡوَمُ قِيلًا﴾ [المزمل:٦].

---

(١) أخرجه البخاري (١١٤٢)، ومسلم (٧٧٦).

وقد استنبط بعضهم منه: أن من فعل ذلك مرة ثم عاد إلىٰ النوم لا يعود إليه الشيطان بالعقد المذكور ثانيًا.

واستثنىٰ بعضهم -ممن يقوم ويذكر ويتوضأ ويصلي- من لم ينهه ذلك عن الفحشاء، بل يفعل ذلك من غير أن يقلع، والذي يظهر فيه التفصيل بين من يفعل ذلك مع الندم والتوبة والعزم علىٰ الإقلاع، وبين المُصِرِّ». اهـ

قلت: وعلم من هذا أن قيام الليل عاصم عظيم من الشيطان الرجيم، فكان جديرًا بالمؤمن ألا يفارق ذلك في ليله ولو وقتًا يسيرًا، نسأل الله التوفيق.

* * *

٧- قيام الليل يبعد عن المعاصي والمنكرات

٦/٥١- عن أبي هريرة ﷺ قال جاء رجل إلىٰ النبي ﷺ فقال: إنَّ فلانًا يصلي بالليل، فإذا أصبح سرق، قال: «إنه سينهاه ما تقول». أخرجه أحمد (٢/ ٤٤٧)[1].

مما يؤيد هذا قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [العنكبوت:٤٥].

قال ابن أبي الدنيا في «التهجد» (٣٨٣): حدثنا الحسن بن داود بن محمد بن المنكدر، سمعت أبا بكر بن عياش يقول: «من قام من الليل لم يأت فاحشة، ألا تسمع إلىٰ قول الله: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ﴾». وسنده حسن.

وبوب ابن حبان في «الصحيح» (٢٥٦٠) علىٰ الحديث السابق: «ذكر استحباب الإكثار للمرء من قيام الليل رجاء ترك المحظورات».

ثم قال أبو حاتم: قوله: «سينهاه ما تقول» مما نقول في كتبنا: إن العرب

---

(١) سنده صحيح: وأخرجه البزار كما في «كشف الأستار» (٧٢٠)، وابن حبان (٢٥٦٠)، والطحاوي في «شرح المشكل» (٢٠٥٦)، وصححه الشيخ الألباني في «الصحيحة» (٣٤٨٢).

تضيف الفعل إلىٰ الفعل نفسه، كما تضيف إلىٰ الفاعل، أراد ﷺ: أن الصلاة إذا كانت علىٰ الحقيقة في الابتداء والانتهاء يكون المصلي مجانبًا للمحظورات معها كقوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾.

فإذا علم هذا كان مما يجدر بالعبد أن يكثر من قيام الليل، ليستعين بذلك علىٰ ترك الذنوب والمعاصي والتخلص أو التقليل منها.

* * *

٨ - لعظم القيام بكلام الله لا يحسد إلا عليه، وعلى من آتاه الله مالاً

٥٢/ ٧- عن عَبد الله بن عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: سَمِعتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا حَسَدَ إِلَّا عَلَىٰ اثنَتَينِ، رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الكِتَابَ وَقَامَ بِهِ آنَاءَ اللَّيلِ، وَرَجُلٌ أَعطَاهُ اللهُ مَالًا فَهُوَ يَتَصَدَّقُ بِهِ آنَاءَ اللَّيلِ وَالنَّهَارِ» أخرجه البخاري (٥٠٢٥)، ومسلم (٨١٥).

في الحديث حث في أخذ القرآن والقيام به تلاوة وعملًا، وقراءة في صلاتك ليلًا ونهارًا فقد بوب عليه القاضي عياض في «إكمال المعلم» (٣/ ١٨٤): «باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه، وفضل من تعلم حكمة من فقه أو غيره فعمل بها وعلمها».

* * *

٩- قيام الليل من أسباب حب الله تعالى للعبد

٥٣/ ٨- عن مطرف بن عبد الله بن الشخير قال: بلغني عن أبي ذر حديث فكنت أحب أن ألقاه، فلقيته، فقلت له: يا أبا ذر بلغني عنك حديث، فكنت أحب أن ألقاك فأسألك عنه، فقال: قد لقيت، فاسأل. قال، قلت: بلغني أنك تقول سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ثلاثة يحبهم الله ﷻ ، وثلاثة يبغضهم الله ﷻ .

قال: نعم.

قال: فما إخالني أكذب علىٰ خليلي محمد ﷺ ثلاثًا يقولها؟

قال: قلت: من الثلاثة الذين يحبهم الله ﷻ ؟

قال: رجل غزا في سبيل الله فلقِيَ العدو مجاهدًا محتسبًا فقاتل حتىٰ قتل. وأنتم تجدون في كتاب الله ﷻ : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا﴾ [الصف:٤].

ورجل له جار يؤذيه فيصبر علىٰ أذاه ويحتسبه حتىٰ يكفيه الله إياه، بموت، أو حياة.

ورجل يكون مع قوم فيسيرون حتىٰ يشق عليهم الكرىٰ[1]، أو النعاس، فينزلون في آخر الليل، فيقوم إلىٰ وضوئه وصلاته.

---

(١) الكرىٰ: النعاس ومبادئ النوم.

قال: قلت: من الثلاثة الذين يبغضهم الله؟

قال: الفخور، المختال. وأنتم تجدون في كتاب الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان:١٨].

والبخيل المنان.

والتاجر والبياع الحلاف.

قال: قلت: يا أبا ذر ما المال؟ قال: فرق لنا وذود يعني بالفرق: غنمًا يسيرة، قال: قلت: لست عن هذا أسأل، إنما أسألك عن صامت المال، قال: ما أصبح لا أمسىٰ، وما أمسىٰ لا أصبح، قال: قلت: يا أبا ذر ما لك ولإخوتك قريش؟

قال: والله لا أسألهم دنيا، ولا أستفتيهم عن دين الله -تبارك وتعالىٰ-، حتىٰ ألقىٰ الله ورسوله ثلاثًا يقولها» أخرجه أحمد (٥/ ١٧٦)[(١)].

اشتمل هذا الحديث علىٰ تشويق عظيم إلىٰ الاهتمام بقيام الليل، فتأمل قوله: «ورجل يكون مع قوم فيسيرون حتىٰ يشق عليهم الكرىٰ...»؛ أي أنه مع مسيره، وإرهاقه وتعبه، «يقوم إلىٰ وضوئه وصلاته» مع شدة ما يجد، وهذا حث ظاهر علىٰ القيام بهذه العبادة حتىٰ في مثل هذه الصورة، وزاد النبي ﷺ ترغيبًا في ذلك فأخبر أنه ممن يحبه الله تعالىٰ، ومرتبة محبه الله للعبد، مرتبة عظيمة يتسابق في تحصيلها الأنبياء والصالحون، نسأل الله أن يجعلنا منهم.

* * *

(١) صحيح: وأخرجه أبو داود الطيالسي، والبزار (٩/ ٣٤٧)، والحاكم (٢/ ٨٨)، والبيهقي (٩/ ١٦٠)، وصححه شيخنا في «الجامع الصحيح» (١٠٩٠).

١٠- قائم الليل يكتب من الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات

٥٤/ ٩- عَن أَبِي سَعِيدٍ الخُدرِيِّ وَأَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنهما قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا استَيقَظَ الرَّجُلُ مِن اللَّيلِ، وَأَيقَظَ امرَأَتَهُ؛ فَصَلَّيَا رَكعَتَينِ، كُتِبَا مِن الذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ». أخرجه ابن ماجه (١٣٣٥)، وأبو داود (١٣٠٩)[1].

في هذا الحديث أخبر النبي ﷺ عن هذا العمل اليسير على من يسره الله تعالى عليه وذلك بثلاثة أشياء:

١- قيامه من الليل.

٢- إيقاظه لامرأته.

---

(١) صححه الشيخ الألباني في «صحيح أبي داود».

قلت: لكن عقب أبو داود إخراجه بقوله: ولم يرفعه ابن كثير، ولا ذكر أبا هريرة، جعله من كلام أبي سعيد. رواه ابن مهدي عن سفيان قال: وأُراه ذكر أبا هريرة وحديث سفيان موقوف. اهـ

والحديث أخرجه أيضًا ابن حبان (٢٥٦٨)، والحاكم (١/ ٣١٦)، والبيهقي (٢/ ٥٠١).

قلت: والوقف أشبه به -والله أعلم-، وهذا الموقوف له حكم الرفع.

ثم رأيت الدارقطني بعدُ في كتابه «العلل» (٩/ ٦٩-٧٠) رجح وقفه، فأحمد الله وأسأله التوفيق والمزيد من الخير، والسير على نهج نبيه وفهم العلماء السلفيين الربانيين.

٣- صلاة ركعتين.

ورتب علىٰ ذلك: أن الله تعالىٰ يكتبه من الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات.

وقد قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٣٥].

إذا علمت أن الله رتب هذا الأجر علىٰ هاتين الركعتين، علمت عظيم الحث علىٰ القيام بشعيرة قيام الليل ولو شيئًا يسيرًا نسأل الله التوفيق لما يرضيه.

* * *

١١- رفع الدرجات
وحط الخطايا بكثرة السجود في الليل وغيره

٥٥/ ١٠- وعن مَعدَانَ بنِ أَبِي طَلحَةَ اليَعمَرِيِّ قَالَ: لَقِيتُ ثَوبَانَ مَولَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقُلتُ: أَخبِرنِي بِعَمَلٍ أَعمَلُهُ يُدخِلُنِي اللهُ بِهِ الجَنَّةَ، أَو قَالَ: قُلتُ: بِأَحَبِّ الأَعمَالِ إِلَىٰ اللهِ؟ فَسَكَتَ، ثُمَّ سَأَلتُهُ. فَسَكَتَ.

ثُمَّ سَأَلتُهُ الثَّالِثَةَ فَقَالَ: سَأَلتُ عَن ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «عَلَيكَ بِكَثرَةِ السُّجُودِ[1] فَإِنَّكَ لَا تَسجُدُ لِلَّهِ سَجدَةً إِلَّا رَفَعَكَ اللهُ بِهَا دَرَجَةً، وَحَطَّ عَنكَ بِهَا خَطِيئَةً.

---

(١) قال القرطبي في «المفهم» (٢ / ٩٣): «الحديث؛ دليل علىٰ أن كثرة السجود أفضل من طول القيام، وهي مسألة اختلف العلماء فيها.

فذهبت طائفة إلىٰ ظاهر هذا الحديث.

وذهبت طائفة أخرىٰ إلىٰ أن طول القيام أفضل؛ متمسكين بقوله ﷺ: «أفضل الصلاة طول القنوت». عن جابر أخرجه مسلم (٧٥٦)، وفسَّروا القنوت بالقيام كما قال تعالىٰ: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ [البقرة:٢٣٨].

ذكر هذه المسألة والخلاف فيها الترمذي، والصحيح من فعل النبي ﷺ أنه كان يطوِّل في قيام صلاة الليل، وداوم علىٰ ذلك إلىٰ حين موته، فدلَّ علىٰ أن طول القيام أفضل.

ويحتمل أن يُقال: إن ذلك يرجع إلىٰ حال المصلي؛ فرب مصلٍّ يحصل له في حال القيام من الحضور والتدبر والخشوع ما لا يحصل له في السجود، ورب مصلٍّ يحصل له في
=

قَالَ مَعدَانُ: ثُمَّ لَقِيتُ أَبَا الدَّردَاءِ فَسَأَلتُهُ فَقَالَ لِي مِثلَ مَا قَالَ لِي ثَوبَانُ».

أخرجه مسلم (٤٨٨).

في هذا الحديث حث نبوي كريم بكثرة السجود، إذ إنه يترتب علىٰ ذلك أمر عظيم وهو رفع الدرجات عند الله، فلا تسجد سجدة إلا رفعت بها درجة، وهذه الدرجة عند الله، ليست درجات الشهادات التي ينفق كثير من الشباب زهرات أعمارهم في نيلها، ولو اكتسبوا معها الذنوب الكثيرة والسيئات المتابعة، إنها درجات عند الله تعالىٰ.

والجدير بالعبد أن يدرك هذا ويسعىٰ في إحرازه، فلو قال القائد العسكري، أو المدرس الجامعي أو غيره لطالب: إذا فعلت كذا، كان لك من الدرجات كذا وكذا. لرأيت ذلك الطالب مشغوفًا بفعل مطلوب مدرسه ومنهمكًا في تحصيله، مسارعًا في تلبيته.

والحاصل: من وراء ذلك حطام من الدنيا، يعقبه التعب، وربما أمور أخر غير مرضية.

لكن كثرة سجودك وتعفيرك لجبهتك بالخضوع والسجود في الوقت الذي تكسب به رفع الدرجات، يخلف الله السعادة والقرب منه، والتحلي بطاعته، والتلذذ بعبادته، والأنس به، إلىٰ غير ذلك من المقاصد المرغوبة والخيرات المطلوبة. نسأل الله أن يوفقنا لطاعته وكثرة السجود له، والخضوع بين يديه؛ إنه

=

السجود من ذلك ما لا يحصل له في القيام، فيكون الأفضل في حقه: الحال التي حصل له فيها ذلك المعنىٰ الذي هو روح الصلاة، والله أعلم.

وما اختاره القرطبي هو الصواب، والله أعلم.

ولي ذلك والقادر عليه.

٥٦/ ١١- وعن رَبِيعَةَ بنِ كَعبٍ الأَسلَمِيِّ قَالَ: كُنتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فأتيته بِوَضُوئِهِ، وَحَاجَتِهِ، فَقَالَ لِي: «سَل.

فَقُلتُ: أَسأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الجَنَّةِ.

قَالَ: أو غَيرَ ذَلِكَ[(١)].

قُلتُ: هُوَ ذَاكَ.

قَالَ: فَأَعِنِّي عَلَىٰ نَفسِكَ بِكَثرَةِ السُّجُودِ». أخرجه مسلم (٤٨٩).

في هذا الحديث طلب هذا الصحابي الجليل بعلو همته، وشدة رغبته فيما عند الله: منزلة رفيعة عظيمة وهي مرافقة النبي ﷺ، فما حثه النبي ﷺ علىٰ أي طاعة من الطاعات من الحج أوالجهاد، أو غير ذلك لكن حثه علىٰ كثرة السجود الذي يمكن أن يوفقه الله بسببه فيصل إلىٰ مناه، ويدرك مطلوبه، وهو مرافقة المصطفىٰ ﷺ في الجنة.

---

(١) قال القرطبي في «المفهم» (٢ / ٩٣): «رويناه بإسكان الواو من «أو» ، ونصب «غيرَ»؛ أي: أو: سل غير ذلك؛ كأنه حَضَّه علىٰ سؤال شيء آخر غير مرافقته؛ لأنه فهم منه أنه يطلب المساواة معه في درجته، وذلك ما لا ينبغي لغيره.

فلمَّا قال الرجل: «هو ذاك»؛ قال له: «أعِنِّي علىٰ نفسك بكثرة السجود»؛ أي: الصلاة؛ ليزداد من القُرَب ورفعة الدرجات، حتىٰ يقرب من منزلته، وإن لم يُسَاوِهِ فيها.

ولا يعترض هذا بقول النبي ﷺ فيما رواه حذيفة ليلة الأحزاب: «ألا رجل يأتيني بخبر القوم؛ جعله الله معي يوم القيامة؛ لأن هذا مثل قوله تعالىٰ: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم﴾ [النساء:٦٩] الآية؛ لأن هذه المَعِيَّة هي النجاة من النار، والفوز بالجنة، إلا أن أهل الجنة علىٰ مراتبهم ومنازلهم بحسب أعمالهم وأحوالهم.

فجدير بالمؤمن أن يسعىٰ في ذلك لاسيما بسجدات يسجدها لربه عند إرخاء الليل لظلماته، وتحلي كثير من العيون بمنامها، نسأل الله أن يوفقنا لذلك.

* * *

١٢- قيام الليل فيه اكتساب أفضل صلاة بعد الفريضة

٥٧/ ١٢- عَن أَبِي هُرَيرَةَ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَفضَلُ الصِّيَامِ بَعدَ رَمَضَانَ شَهرُ اللهِ المُحَرَّمُ، وَأَفضَلُ الصَّلَاةِ بَعدَ الفَرِيضَةِ صَلَاةُ اللَّيلِ**»(١) أخرجه مسلم (١١٦٣).

وفي رواية له: «**الصلاة في جوف الليل**».

معلوم ما لصلاة الفريضة من الفضل والمكانة في الإسلام، ومع ذلك كانت الصلاة في جوف الليل هي أفضل الصلاة بعد الفريضة، وما أخبر النبي ﷺ بهذا إلا لحث أمته لفعل هذه العبادة الفاضلة، والحصول على الأجور العظيمة المترتبة على ذلك، فليكن لك أيها المسلم نصيب من ذلك الفضل.

عن معاوية بن قرة قال: دخلت على الحسن وهو متكئ على سريره فقلت:

---

(١) قال النووي في «شرح مسلم» (١١٦٣): «فيه دليل لما اتفق العلماء عليه أن تطوع الليل أفضل من تطوع النهار، وفيه حجة لأبي إسحاق المروزي من أصحابنا ومن وافقه أن صلاة الليل أفضل من السنن الراتبة، وقال أكثر أصحابنا: الرواتب أفضل، لأنها تشبه الفرائض، والأول أقوى وأوفق للحديث، والله أعلم».

«يا أبا سعيد أي الأعمال أحب إلىٰ الله؟ قال: «الصلاة في جوف الليل والناس نيام» أخرجه ابن أبي الدنيا[(١)].

❊ ❊ ❊

---

(١) **صحيح**: أخرجه ابن أبي الدنيا في «التهجد» (١٢)، و«الورع» (٢٠و٣٦)، وأحمد في «الزهد» (ص٣٦٨) من طرق عن معاوية به.

١٣- قيام الليل قد يكون في وقت يقول الله لعباده: هل من سائل فأعطيه سؤله هل من مستغفر فأغفر له؟

٥٨/ ١٣- عَن أَبِي هُرَيرَةَ ﷺ عَن رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «يَنزِلُ اللهُ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنيَا، كُلَّ لَيلَةٍ، حِينَ يَمضِي ثُلُثُ اللَّيلِ الأَوَّلُ، فَيَقُولُ: أَنَا المَلِكُ، أَنَا المَلِكُ، مَن ذَا الَّذِي يَدعُونِي فَأَستَجِيبَ لَهُ؟ مَن ذَا الَّذِي يَسأَلُنِي فَأُعطِيَهُ؟ مَن ذَا الَّذِي يَستَغفِرُنِي فَأَغفِرَ لَهُ؟ فَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّىٰ يُضِيءَ الفَجرُ». أخرجه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨) واللفظ له[١].

فكم من حاجات، وكم من مطلوبات نفتقر إليها وهذا نداء الله إليك أيها المسلم هل من دعوة صادقة ترفعها إلىٰ الله، هل لك من سؤال؟ هل لك من ذنب -وكم نعدد في ذنوبنا- فتستغفر منه؟ هل لك من حاجة فتسأله إياها.

إن ربك يسألك ذلك ويناديك بذلك، فكيف إذا سألته سؤالك، ووضعت

(١) هذا الحديث العظيم ورد عن جماعة من الصحابة في الصحيحين وغيرهما، وهو ثابت لا ريب، واشتمل علىٰ إثبات صفة النزول، وهي صفة فعلية من صفات الله تعالىٰ.
أَوَّلَهَا وحَرَّفها أهل البدع، وعملوا في تحريف هذا الحديث كل عمل، فصنف شيخ الإسلام مصنفًا مستقلًا في الجواب عن استشكالات حول هذا الحديث، طبع في مجلد، -فرحمه الله وجازاه بالخير-.

بين يديه حاجتك، ونصبت قلبك في الدعاء إليه لِلتَّخلُّصِ من ذنبك، لاسيما إذا كان في الثلث الأخير وأنت ساجد بين يديه -جل في علاه- فقمن أن يستجاب لك فلا تكن ممن خسر ويخسر هذه الفرص العظيمة.

٥٩/ ١٤- وعَن جَابِرٍ قَالَ: سَمِعتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ فِي اللَّيلِ لَسَاعَةً لَا يُوَافِقُهَا رَجُلٌ مُسلِمٌ، يَسأَلُ اللهَ خَيرًا مِن أَمرِ الدُّنيَا وَالآخِرَةِ، إِلَّا أَعطَاهُ إِيَّاهُ، وَذَلِكَ كُلَّ لَيلَةٍ». أخرجه مسلم (٧٥٧).

أيها المسلم الكريم هل راقبت تلك الساعة، فإن الوَعدَ عظيم «يسأل الله خيرًا من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه» فكم حاجة تحتاجها، وكل ذنب يقع فيه العبد وهو محتاج إلىٰ فضل الله تعالىٰ وعفوه، فعليك بهذه فتطرح فيها سؤالك، وترفع فيها حاجتك، إلىٰ من يقضي الحاجات، ويفك الكربات، ويرفع الأزمات، ويصلح الأمور الملمات، خالقك باري البريات ﷻ.

* * *

١٤- قيام رمضان من أسباب غفران الذنوب

وفيه حديث أبي هريرة رضي الله عنه في الصحيح المتقدم برقم (١٤).

٦٠/ ١٥- وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: صمنا رمضان مع رسول الله ﷺ فلم يقم بنا شيئًا من الشهر، حتىٰ إذا كانت ليلة أربع وعشرين السابعة مما يبقىٰ، صلىٰ بنا حتىٰ كاد أن يذهب ثلث الليل، فلما كانت ليلة خمس وعشرين لم يصل بنا، فلما كانت ليلة ست وعشرين الخامسة مما يبقىٰ صلىٰ بنا حتىٰ كاد أن يذهب شطر الليل، فقلت: يا رسول الله، لو نفلتنا بقية ليلتنا هذه، فقال: «**إن الرجل إذا صلىٰ مع الإمام حتىٰ ينصرف كتب له قيام ليلته**».

فلما كانت ليلة سبع وعشرين لم يصل بنا، فلما كانت ثمان وعشرين رجع رسول الله ﷺ إلىٰ أهله، واجتمع له الناس فصلىٰ بنا، حتىٰ كاد أن يفوتنا الفلاح[1]، ثم قال: يا ابن أخي، ثم لم يصل بنا شيئًا من الشهر، قال: والفلاح

---

(١) **قال الخطابي**: «أصل الفلاح البقاء، وسمي السحور فلاحًا؛ إذ كان سببًا لبقاء الصوم، ومعينًا عليه، ومن ذلك (حي علىٰ الفلاح)؛ أي: العمل الذي يخلدكم في الجنة، وقيل: لأنه معين علىٰ إتمام الصوم المفضي إلىٰ الفلاح، وهو: الفوز بالزلفىٰ والبقاء في العقبىٰ». اهـ

وانظر: «عون المعبود» (١٣٧٥).

السحور». أخرجه الطيالسي(٤٦٦)[١].

في هذا الحديث تتابع الناس بشوق إلىٰ قيام الليل مع النبي ﷺ، ولو حصل ما حصل من طول قيامه وتأخيره، تأخيره بهم، لما رجوا من وراء ذلك من الأجور العظيمة والمنازل الرفيعة.

وفيه: أن من قام مع الإمام كان قيامه مع الإمام حتىٰ ينتهي من صلاته معه كقيام ليلة كاملة في الأجر والمثوبة.

وهذا تفضل من الله علىٰ عباده القاصدين لما عنده، والمتشوقين لجنته، فكان في هذا تحفيز كريم إلىٰ من ماتت همته فجعل ينقر صلاة التراويح في بيته، بلا خشوع ولا تدبر، ولا دعاء، ولا تضرع، أن يسارع إلىٰ المسجد فيقيمها فيه مع إمامه، فإنه إن فعل ذلك كان له قيام ليلة، ولو كان قيامه مع الإمام حتىٰ ينتهي ساعة واحدة، لكتب له أجر قيام ليلة، بهذا النص النبوي الكريم.

* * *

(١) صحيح: وأخرجه أبو داود (١٣٧٥)، والترمذي (٨٠٦)، والنسائي (٣/ ٨٣)، وابن ماجه (١٣٢٧)، وصححه شيخنا في «الجامع الصحيح» (١٠٨٥).

١٥- أقرب ما يكون العبد من ربه وهو يصلي لربه في الليل

١٦/٦١- عن عَمرِو بنِ عَبَسَةَ ﷺ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «أَقرَبُ مَا يَكُونُ الرَّبُّ مِن العَبدِ فِي جَوفِ اللَّيلِ الآخِرِ، فَإِن استَطَعتَ أَن تَكُونَ مِمَّن يَذكُرُ اللهَ فِي تِلكَ السَّاعَةِ فَكُن». أخرجه الترمذي (٣٥٧٩)[١].

في هذا الحديث تشويق للعباد إلىٰ أن يتقربوا إلىٰ الله تعالىٰ، ويغتنموا فرص العمر حتىٰ في «جَوفِ اللَّيلِ الآخِرِ» وهو الثلث الأخير من الليل. في وقت قد سكنت فيه أجساد العباد، وهدأت فيه أحوالهم، وأُسدِلَت أجفانهم وهم يَغُطُّون نومًا، فحفز النبي ﷺ أمته في هذا الوقت إلىٰ ذكر الله وعبادته فقال: «فَإِن استَطَعتَ»؛ أي: قدرت ووفقت لأن تكون ممن «يذكُرُ اللهَ فِي تِلكَ السَّاعَةِ» إشارة إلىٰ قلة ولطافة ذلك الوقت «فَكُن» أيها العبد الموفق مجتهدًا في أن تكون من جملة من يظفر بذكر الله وعبادته، والسجود بين يديه سبحانه، فإنه «أَقرَبُ مَا يَكُونُ الرَّبُّ مِن العَبدِ» في تلك اللحظات[٢].

---

(١) حديث حسن: بوب عليه شيخنا في «الجامع الصحيح» [قبل رقم] (١٦٢١): «فضل الذكر في جوف الليل». وحسن إسناده.

(٢) وانظر: «تحفة الأحوذي» (٣٥٧٩).

١٦- قيام الليل من أسباب دخول الجنة

٦٢/ ١٧- عَن عَبدِ اللهِ بنِ سَلَامٍ قَالَ: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ المَدِينَةَ انجَفَلَ النَّاسُ إِلَيهِ، وَقِيلَ: قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَجِئتُ فِي النَّاسِ لِأَنظُرَ إِلَيهِ، فَلَمَّا استَبَنتُ وَجهَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَرَفتُ أَنَّ وَجهَهُ لَيسَ بِوَجهِ كَذَّابٍ، وَكَانَ أَوَّلُ شَيءٍ تَكَلَّمَ بِهِ أَن قَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ، أَفشُوا السَّلَامَ، وَأَطعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدخُلُوا الجَنَّةَ بِسَلَامٍ». أخرجه الترمذي (٢٤٨٥)[١].

فأقبل أيها الطالب للجنة على هذه العبادة وغيرها من عبادة الله تعالىٰ إن كنت ممن يسابق إلىٰ الله تعالىٰ ويرجو فضله علك أن تكون ممن يدخل الجنة بسلام.

❊ ❊ ❊

---

(١) صحيح لغيره: وأخرجه ابن ماجه (١٣٣٤و٣٢٥١)، وأحمد (٥/ ٤٥١) وغيرهم من طريق زرارة بن أوفىٰ عن عبد الله بن سلام، وزرارة لم يسمع من عبد الله بن سلام ولكن الحديث له شواهد يصح بها، بسطت القول في ذلك في «التخريج المتين لرياض الصالحين» كتاب السلام رقم (٨٤٩).

١٦- قيام الليل حجاب يتقي به العبدُ النارَ

٦٣/ ١٨- عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قَالَ:كَانَ الرَّجُلُ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ إِذَا رَأَىٰ رُؤيَا قَصَّهَا عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَتَمَنَّيتُ أَن أَرَىٰ رُؤيَا فَأَقُصَّهَا عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَكُنتُ غُلَامًا شَابًّا، وَكُنتُ أَنَامُ فِي المَسجِدِ عَلَىٰ عَهدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَرَأَيتُ فِي النَّومِ كَأَنَّ مَلَكَينِ أَخَذَانِي فَذَهَبَا بِي إِلَىٰ النَّارِ، فَإِذَا هِيَ مَطوِيَّةٌ كَطَيِّ البِئرِ[1]، وَإِذَا لَهَا قَرنَانِ، وَإِذَا فِيهَا أُنَاسٌ قَد عَرَفتُهُم، فَجَعَلتُ أَقُولُ: أَعُوذُ بِاللهِ مِن النَّارِ، قَالَ: فَلَقِيَنَا مَلَكٌ آخَرُ، فَقَالَ لِي: لَم تُرَع[2]، فَقَصَصتُهَا عَلَىٰ حَفصَةَ، فَقَصَّتهَا حَفصَةُ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «نِعمَ الرَّجُلُ عَبدُ اللهِ؛ لَو كَانَ يُصَلِّي مِن اللَّيلِ». فَكَانَ بَعدُ لَا يَنَامُ مِن اللَّيلِ إِلَّا قَلِيلًا. أخرجه البخاري (١١٢١)، ومسلم (٢٤٧٩).

قال الشيخ العثيمين في «شرح صحيح البخاري»[3]: «هذا فيه دليل علىٰ أن قيام الليل يمنع من دخول النار، يعني: سببًا للنجاة منها».

---

(١) أي: مبنية، والبئر قبل أن تبنىٰ تسمىٰ قليبًا. «الفتح» (١١٢١).

(٢) أي: لم تخف، والمعنىٰ لا خوف عليك بعد هذا، وذلك لصلاح ابن عمر غير أنه لم يكن يقوم من الليل، فحصل لعبد الله من ذلك تنبيه علىٰ أن قيام الليل مما يتقىٰ به النار والدنو منها فلذلك لم يترك قيام الليل بعد ذلك.

(٣) (٤/٢١٦) (١١٢٢).

قلت: فإذا علم هذا -وقد كان هذا تنبيهًا في حق الصحابي الجليل عبد الله بن عمر ﷺ- فجدير بمن أثقلته الذنوب، ورغب فيما عند الله من الخيرات أن يكون ممن يقوم الليل، ليستعين بذلك علىٰ البُعد عن النار التي وقودها الناس والحجارة، التي حرها شديد وقعرها بعيد. نسأل الله أن يوفقنا لكل خير.

هذا وأنبهك أيها المسلم أن قيامك لِلَّيل من كمال توحيدك لله تعالىٰ: فإنك إذا قمت في جوف الليل، حين هدأت الأصوات، ونامت عيون كثير من الناس، وأنت استروحت جسدك إلىٰ الانكسار بين يدي الله تعالىٰ، ومناجاته ودعائه والخضوع له ساجدًا وراكعًا؛ ذلك منبعث من إيمانك وصحة اعتقادك أن مولاك سبحانه يسمع السر والنجوىٰ ويعلم السر وأخفىٰ، وأنه يرىٰ تقلُّبك، ويسمع نجواك وأنت قصدت بابه، واستروحت لعبادته، في وقت لا يعلم ذلك منك غيره وغيرك، أو قد يعلم من لا تطلب منه دفع ضر عنك ولا جلب نفعٍ لك.

وهذا كله دال علىٰ عظيم إخلاصك وصحة توحيدك، وقوة اعتقادك ، نسأل الله التوفيق لما يحب ويرضىٰ[1].

«هذا وأرجو أن يكون فيما قد ذكرته واختصرته، بلاغ لمن منع نفسه لذة النوم فآثر القيام، وراوح بين الأقدام، وتنعم بتلاوة القرآن، يرجو بذلك رضا الرحمن ﷻ ، فلو شهدته يا أخي في الليل المظلم، فقلبه لما يتلو من القرآن متدبِّر، وبأمثاله معتبر، وفيما حكىٰ متفكر، وبالوعد والوعيد لنفسه مُذكِّر، فالقلب من ذكر الموت خائف مقلق، ولما عمل من الحسنات مُشفق، فالاستغفار شعاره،

---

(١) وانظر: «النصيحة» لابن الحبال البعلي (ص ٣٧).

وهجوم الظلام سروره، وحسن الظن بالله الكريم آماله، والله ولي التوفيق.

قال محمد بن الحسين الآجري: بلغني عن شيخ من المتعبدين أنه كان له ورد من الليل يقومه، ففتر عن ورده ذات ليلة قال: فإذا أنا بجارية قد وقفت علىٰ رأسي كأنَّ وجهها قمر، وبيدها رِقٌّ وفيه مكتوب، فقالت: أيها الشيخ أتقرأ؟؟ قلت: نعم. قالت: اقرأ ما في هذا، فأخذته فقرأته، فإذا فيه:

ألهتك لذة نومة عن خير عيش ... مع الخيرات في غرف الجنان
تعيش مخلدًا لا موت فيها ... وتنعم في الجنان مع الحسان
تيقظ من منامك إنَّ خيرًا ... من النوم التهجد بالقران

قال: فما ذكرتها ساعة إلا ذهب عني النوم»[1].

* * *

(١) كتاب «فضل قيام الليل والتهجد» للإمام الآجري (ص١١٥-١١٦) وهذه القصة المشار إليها أسندها ابن أبي الدنيا في «التهجد» (٢٥١) بسند حسن، والرجل العابد هو مالك ابن دينار.

المشوق إلى تلاوة القرآن

اعلم -وفقني الله وإياك- أن الله «أنزل القرآن علىٰ نبيه ﷺ، وأعلمه فضل ما أنزله عليه ، وأعلم خلقه في كتابه، وعلىٰ لسان رسوله، أن القرآن عصمة لمن اعتصم به، وهدىٰ لمن اهتدىٰ به ، وغنىٰ لمن استغنىٰ به، وحرز من النار لمن اتَّبَعَهُ، ونور لمن استنار به، وشفاء لما في الصدور، وهدىٰ ورحمة للمؤمنين.

ثم أمر الله ﷻ خلقه أن يؤمنوا به، ويعملوا بمحكمه فيُحِلُّوا حلاله، ويحرموا حرامه، ويؤمنوا بمتشابهه، ويعتبروا بأمثاله ويقولوا: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران:٧].

ثم وعدهم علىٰ تلاوته، والعمل به، النجاة من النار، والدخول إلىٰ الجنة.

ثم ندب خلقه ﷻ إذا هم تَلَوْا كتابه أن يتدبروه، ويتفكروا فيه بقلوبهم، وإذا سمعوه من غيرهم أحسنوا استماعه.

ثم وعدهم علىٰ ذلك الثواب الجزيل، فله الحمد.

ثم أعلم خلقه أن من تلا القرآن، وأراد به متاجرة مولاه الكريم، فإنه يربحه الربح الذي لا بعده ربح، ويعرفه بركة المتاجرة في الدنيا والآخرة.

بيانه في كتاب الله ﷻ ، وفي سنة رسوله ﷺ، ومن قول صحابته رضي الله عنهم وسائر العلماء.

قال الله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [فاطر:٢٩-٣٠].

وقال ﷻ: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [الإسراء: ٩-١٠].

وقال ﷻ: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [الإسراء:٨٢].

وقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس:٥٧].

وقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [النساء:١٧٤-١٧٥].

وقال ﷻ: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران:١٠٣] الآية، وحبل الله هو القرآن.

وقال ﷻ: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ [الزمر:٢٣].

وقال ﷻ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [ص:٢٩].

وقال ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ [طه:١١٣].

ثم إن الله ﷻ وعد لمن استمع إلىٰ كلامه، فأحسن الأدب عند استماعه: بالاعتبار الجميل، ولزوم الواجب لاتباعه، والعمل به، أن بشره الله منه بكل خير، ووعده علىٰ ذلك أفضل الثواب، فقال ﷻ: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر:١٧-١٨].

وقال ﷻ: ﴿وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الزمر:٥٤-٥٥].

فكل كلام ربنا حسن لمن تلاه ولمن استمع إليه، وإنما هذا - والله أعلم - صفة قوم إذا سمعوا القرآن تتبعوا من القرآن أحسن ما يتقربون به إلىٰ الله تعالىٰ، مما دلهم عليه مولاهم الكريم، يطلبون بذلك رضاه، ويرجون رحمته سمعوا الله قال: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف:٢٠٤]. فكان حسن استماعهم يبعثهم علىٰ التذكر فيما لهم وما عليهم وسمعوا الله ﷻ قال: ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق:٤٥].

وقد أخبرنا الله عن الجن في حسن استماعهم للقرآن واستجابتهم لَمَّا ندبهم إليه، ثم رجعوا إلىٰ قومهم فوعظوهم بما سمعوا من القرآن بأحسن ما يكون من الموعظة، قال الله ﷻ: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ [الجن:١-٢].

وقال ﷻ: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ

قَالُوٓاْ أَنصِتُواْۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ﴾ [الأحقاف:٢٩-٣١].

وقد قال الله ﷻ في سورة ق: ﴿قٓۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾ [ق:١]. ما دلنا علىٰ عظم ما خلق من السموات والأرض وما بينهما من عجائب حكمته في خلقه، ثم ذكر الموت وعَظَّم شأنه، وذكر النار وعَظَّم شأنها، وذكر الجنة وما أعد فيها لأوليائه فقال ﷻ: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق:٣٥]. إلىٰ آخر الآية.

ثم قال بعد ذلك كله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق:٣٧]. فأخبر -جل ذكره- أن المستمع بأذنيه ينبغي له أن يكون مشاهدًا بقلبه ما يتلو وما يسمع؛ لينتفع بتلاوته للقرآن وبالاستماع ممن يتلوه.

ثم إن الله ﷻ حث خلقه علىٰ أن يتدبروا القرآن فقال ﷻ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد:٢٤].

وقال ﷻ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء:٨٢].

ألا ترون -رحمكم الله- إلىٰ مولاكم -الكريم- كيف يحث خلقه علىٰ أن يتدبروا كلامه.

ومن تدبر كلامه عرف الرب ﷻ.

وعرف عظيم سلطانه وقدرته، وعرف عظيم تفضُّله علىٰ المؤمنين.

وعرف ما عليه من فرض عبادته؛ فألزم نفسه الواجب، فحذر مما حذره -مولاه الكريم- ورغب فيما رغبه فيه.

ومن كانت هذه صفته عند تلاوته للقرآن وعند استماعه من غيره، كان القرآن له شفاء فاستغنىٰ بلا مال، وعز بلا عشيرة، وأنس بما يستوحش منه غيره، وكان همه عند التلاوة للسورة إذا افتتحها متىٰ أتعظ بما أتلو؟ ولم يكن مراده متىٰ أختم السورة؟ وإنما مراده متىٰ أعقل عن الله الخطاب؟ متىٰ أزدجر؟ متىٰ أعتبر؟ لأن تلاوته للقرآن عبادة، والعبادة لا تكون بغفلة، والله الموفق»[1].

أخي المسلم:

قد جمعت لك هنا شطرًا أرجو أن ينفعك الله به، وأرجو أن يكون داعيًا إلىٰ مزيد تلاوة كلام الله، وتدبره، والانتفاع به فإلىٰ ذلك:

* * *

(١) «أخلاق حملة القرآن» للآجري (١-١٠).

١- أمر الله بتلاوة القرآن

١- قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلۡبَلۡدَةِ ٱلَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَيۡءٖۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ۝٩١ وَأَنۡ أَتۡلُوَاْ ٱلۡقُرۡءَانَۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ﴾ [النمل:٩١-٩٢].

في هاتين الآيتين بيان أن الله أمر نبيه بعبادته مخلصًا له، موحدًا منقادًا لأمره مطيعًا، وأن يتلو القرآن، متعبدًا به لربه، ومذكرًا به ومبلغًا لغيره كما قال تعالىٰ: ﴿ الٓمٓصٓ ۝١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [الأعراف:١-٢].

ولما كان هذا أمرًا للنبي ﷺ فهو أمر لأمته أن يتلو القرآن تعبدًا لله به ومذكرين به من غفل عنه، وعن تدبره، والله أعلم.

٢- وقال تعالىٰ: ﴿ وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدٗا ﴾ [الكهف:٢٧].

٣- وقال تعالىٰ: ﴿ ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ ﴾ [العنكبوت:٤٥].

قال الشوكاني[(١)]: «أمره الله سبحانه أن يواظب علىٰ تلاوة الكتاب الموحىٰ إليه.

قيل: ويحتمل أن يكون معنىٰ قوله: ﴿ أَتْلُ ﴾: واتبع ، أمراً من التلوّ، لا من التلاوة». اهـ

قلت: ذكر ابن كثير (٢) الأول واكتفىٰ به، وكلا المعنيين مراد هنا وهو تلاوة القرآن واتباع أحكامه.

وقال الإمام الطبري: «يقول تعالىٰ ذكره لنبيه محمد ﷺ: واتبع يا محمد ما أنزل إليك من كتاب ربك هذا، ولا تتركنَّ تلاوته، واتباع ما فيه من أمر الله ونهيه، والعمل بحلاله وحرامه، فتكون من الهالكين، وذلك أن مصير من خالفه، وترك اتباعه يوم القيامة إلىٰ جهنم ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ﴾ [الأنعام:١١٥]. يقول: لا مغير لما أوعد بكلماته التي أنزلها عليك أهل معاصيه، والعاملين بخلاف هذا الكتاب الذي أوحيناه إليك.

وقوله: ﴿وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾ [الكهف:٢٧]. يقول: وإن أنت يا محمد لم تتل ما أوحي إليك من كتاب ربك فتتبعه وتأتمَّ به، فنالك وعيد الله الذي أوعد فيه المخالفين حدوده، لن تجد من دون الله موئلًا تَئِل إليه ومعدلًا تعدل عنه إليه؛ لأن قدرة الله محيطة بك وبجميع خلقه، لا يقدر أحد منهم علىٰ الهرب من أمر أرادَهُ به». اهـ

هذا في تفسير الآية الأولىٰ، ولم يذكروا في الآية الثانية غير الحث علىٰ

---

(١) عند تفسير الآية (٢٧) من سورة الكهف.

(٢) عند تفسير الآية (٢٧) من سورة الكهف.

تلاوة القرآن الكريم.

وعلم من هاتين الآيتين وغيرهما من كلام الله الحث علىٰ تلاوة القرآن والإكثار من ذلك، وإن كان الأمر موجه إلىٰ النبي ﷺ فهو يشمل غيره، بل غيره بالأولىٰ؛ لأنه ﷺ كان لا ينفك عن تلاوة القرآن في أنحاء متفرقة من حياته. وقد حث أمته علىٰ تعاهده.

فعَن أَبِي مُوسَىٰ ﷺ عَن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «تَعَاهَدُوا القُرآنَ فَوَالَّذِي نَفسِي بِيَدِهِ لَهُوَ أَشَدُّ تَفَصِّيًا مِن الإِبِلِ فِي عُقُلِهَا». متفق عليه[1].

* * *

(١) البخاري(٥٠٣٣)، ومسلم(٧٩١).

٢- تنزل السكينة لقراءة القرآن

٦٤/ ١- عن البَرَاء بنَ عَازِبٍ رضي الله عنهما قال: قَرَأَ رَجُلٌ الكَهفَ وَفِي الدَّارِ الدَّابَّةُ فَجَعَلَت تَنفِرُ فَسَلَّمَ، فَإِذَا ضَبَابَةٌ أَو سَحَابَةٌ غَشِيَتهُ فَذَكَرَهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «اقرَأ فُلَانُ فَإِنَّهَا السَّكِينَةُ نَزَلَت لِلقُرآنِ أَو تَنَزَّلَت لِلقُرآنِ». متفق عليه[١].

٦٥/ ٢- وعن أَبي سَعِيدٍ الخُدرِيِّ رضي الله عنه أَنَّ أُسَيدَ بنَ حُضَيرٍ بَينَمَا هُوَ لَيلَةً يَقرَأُ فِي مِربَدِهِ إِذ جَالَت فَرَسُهُ فَقَرَأَ ثُمَّ جَالَت أُخرَىٰ فَقَرَأَ ثُمَّ جَالَت أَيضًا قَالَ أُسَيدٌ: فَخَشِيتُ أَن تَطَأَ يَحيَىٰ فَقُمتُ إِلَيهَا فَإِذَا مِثلُ الظُّلَّةِ فَوقَ رَأسِي فِيهَا أَمثَالُ السُّرُجِ عَرَجَت فِي الجَوِّ حَتَّىٰ مَا أَرَاهَا.

قَالَ: فَغَدَوتُ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ. فَقُلتُ: يَا رَسُولَ اللهِ بَينَمَا أَنَا البَارِحَةَ مِن جَوفِ اللَّيلِ أَقرَأُ فِي مِربَدِي إِذ جَالَت فَرَسِي.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اقرَأ ابنَ حُضَيرٍ.

قَالَ: فَقَرَأتُ ثُمَّ جَالَت أَيضًا. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: اقرَأ ابنَ حُضَيرٍ.

قَالَ: فَقَرَأتُ ثُمَّ جَالَت أَيضًا. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: اقرَأ ابنَ حُضَيرٍ.

قَالَ: فَانصَرَفتُ وَكَانَ يَحيَىٰ قَرِيبًا مِنهَا خَشِيتُ أَن تَطَأَهُ فَرَأَيتُ مِثلَ الظُّلَّةِ فِيهَا أَمثَالُ السُّرُجِ عَرَجَت فِي الجَوِّ حَتَّىٰ مَا أَرَاهَا.

---

(١) البخاري(٣٦١٤)، ومسلم(٧٩٥) (٢٤١).

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «تِلكَ المَلَائِكَةُ كَانَت تَستَمِعُ لَكَ، وَلَو قَرَأتَ لَأَصبَحَت يَرَاهَا النَّاسُ مَا تَستَتِرُ مِنهُم». متفق عليه[1].

فعلم من هذا تنزل الملائكة والسكينة عند تلاوة القرآن، ولا شك أن التالي ممن تغشاه السكينة في مثل ذلك الحال الذي تتنزل له الملائكة.

فكان جديرًا بالعبد أن يعتني بتلاوة كلام الله الكريم فلعله أن يظفر بمثل هذا الربح العظيم. نسأل الله من فضله.

* * *

(١) البخاري (٥٠١٤)، ومسلم(٧٩٦)، واللفظ له.

٣- التالي للقرآن راجٍ لتجارة لن تبور

قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ ﴾ [فاطر:٢٩-٣٠].

قال البقاعي(١): «﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ ﴾؛ أي: يجددون التلاوة كل وقت، مستمرين علىٰ ذلك محافظين عليه كلما نزل من القرآن شيء، وبعد كمال نزوله، حتىٰ يكون ذلك ديدنهم، وشأنهم، بفهم وبغير فهم ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: الذي لا ينبغي لعاقل أن يقبل علىٰ غيره لما له من صفات الجمال والجلال».

وقال ابن كثير في «تفسيره»(٢): «يخبر تعالىٰ عن عباده المؤمنين الذين يتلون كتابه ويؤمنون به ويعملون بما فيه، من إقام الصلاة، والإنفاق مما رزقهم الله في الأوقات المشروعة ليلًا ونهارًا، سرًّا وعلانية، ﴿يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ﴾؛ أي: يرجون ثوابًا عند الله لابد من حصوله.

ولهذا قال تعالىٰ: ﴿ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ ﴾؛ أي: ليوفيهم ثواب ما فعلوه ويضاعفه لهم بزيادات لم تخطر لهم، ﴿إِنَّهُۥ غَفُورٞ﴾؛

---

(١) «نظم الدرر» (١٦/ ٤٩).

(٢) «تفسير القرآن العظيم» (١١/ ٣٢١).

أي: لذنوبهم، ﴿شَكُورٌ﴾ للقليل من أعمالهم.

قال قتادة: كان مُطَرف رَحِمَهُ ٱللَّهُ، إذا قرأ هذه الآية يقول: هذه آية القراء». اهـ

* * *

٤- التالي للقرآن العامل به طالب لهداية الله وموفق لها -بإذن الله تعالى-

قال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة:٢].

وقال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر:٢٣].

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس:٥٧-٥٨].

قال ابن كثير «تفسيره»[1]: «ومعنىٰ الكلام: أن هذا الكتاب -وهو القرآن- لا شك فيه أنه نزل من عند الله، كما قال تعالىٰ في السجدة: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [السجدة:١-٢]. وقال بعضهم: هذا خبر ومعناه النهي، أي: لا ترتابوا فيه.

ومن القراء من يقف علىٰ قوله: ﴿لَا رَيْبَ﴾ ويبتدئ بقوله: ﴿فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، والوقف علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أولىٰ للآية التي ذكرنا، ولأنه

---

(١) «تفسير القرآن العظيم» (١/ ٢٦٠).

يصير قوله: ﴿هُدًى﴾ صفة للقرآن، وذلك أبلغ من كون: ﴿فِيهِ هُدًى﴾.

و﴿هُدًى﴾ يحتمل من حيث العربية أن يكون مرفوعًا على النعت، ومنصوبًا على الحال، وخصّت الهداية للمتّقين. كما قال: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٤].

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء:٨٢].

إلىٰ غير ذلك من الآيات الدالة علىٰ اختصاص المؤمنين بالنفع بالقرآن؛ لأنه هو في نفسه هدىً، ولكن لا يناله إلا الأبرار، كما قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس:٥٧]. اهـ

* * *

٥- مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن ويعمل به

٦٦/ ٣- عَن أَبِي مُوسَىٰ رضي الله عنه عَن النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «المُؤمِنُ الَّذِي يَقرَأُ القُرآنَ وَيَعمَلُ بِهِ كَالأُترُجَّةِ، طَعمُهَا طَيِّبٌ، وَرِيحُهَا طَيِّبٌ[1]، وَالمُؤمِنُ الَّذِي لَا يَقرَأُ القُرآنَ

(١) قال الحافظ في «فتح» (٥٠٢٠): «قيل: خص صفة الإيمان بالطعم، وصفة التلاوة بالريح، لأن الإيمان ألزم للمؤمن من القرآن؛ إذ يمكن حصول الإيمان بدون القراءة. وكذلك الطعم ألزم للجوهر من الريح، فقد يذهب ريح الجوهر ويبقىٰ طعمه.

ثم قيل: الحكمة في تخصيص الأترجة بالتمثيل دون غيرها من الفاكهة التي تجمع طيب الطعم والريح كالتفاحة؛ لأنه يتداوىٰ بقشرها وهو مفرح بالخاصية، ويستخرج من حبها دهن له منافع، وقيل: إن الجن لا تقرب البيت الذي فيه الأترج، فناسب أن يمثل به القرآن الذي لا تقربه الشياطين، وغلاف حبه أبيض فيناسب قلب المؤمن، وفيها أيضًا من المزايا: كبر جِرمها، وحسن منظرها، وتفريح لونها، ولين ملمسها، وفي أكلها مع الالتذاذ: طيب نكهة، ودباغ معدة، وجودة هضم، ولها منافع أخرىٰ مذكورة في «المفردات». ووقع في رواية شعبة عن قتادة «المؤمن الذي يقرأ القرآن ويعمل به» وهي زيادة مفسرة للمراد، وأن التمثيل وقع بالذي يقرأ القرآن ولا يخالف ما اشتمل عليه من أمر ونهي، لا مطلق التلاوة.

فإن قيل: لو كان كذلك لكثر التقسيم، كأن يقال: الذي يقرأ ويعمل وعكسه، والذي يعمل ولا يقرأ وعكسه، والأقسام الأربعة ممكنة في غير المنافق، وأما المنافق فليس له إلا قسمان فقط، لأنه لا اعتبار بعمله إذا كان نفاقه نفاق كفر.

=

وَيَعمَلُ بِهِ كَالتَّمرَةِ، طَعمُهَا طَيِّبٌ، وَلَا رِيحَ لَهَا، وَمَثَلُ المُنَافِقِ الَّذِي يَقرَأُ القُرآنَ كَالرَّيحَانَةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ، وَطَعمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ المُنَافِقِ الَّذِي لَا يَقرَأُ القُرآنَ كَالحَنظَلَةِ، طَعمُهَا مُرٌّ، أَو خَبِيثٌ، وَرِيحُهَا مُرٌّ». متفق عليه[(١)].

بوب الإمام البخاري في «صحيحه» علىٰ هذا الحديث: «فَضلِ القُرآنِ عَلَىٰ سَائِرِ الكَلَامِ».

قال الحافظ: «ومطابقة الحديث للترجمة من جهة ثبوت فضل قارئ القرآن علىٰ غيره، فيستلزم فضل القرآن علىٰ سائر الكلام، كما فضل الأترج علىٰ سائر الفواكه». اهـ

إذا علم هذا فجدير بالمسلم أن يكثر من تلاوة القرآن ليمتاز بكونه يتلو أفضل الكلام، ويعمل به، فيكون بذلك أفضل ممن سواه، ممن لا يتحلىٰ بهذه الصفة.

* * *

=

وكأن الجواب عن ذلك أن الذي حذف من التمثيل قسمان: الذي يقرأ ولا يعمل، والذي لا يعمل ولا يقرأ، وهما شبيهان بحال المنافق فيمكن تشبيه الأول بالريحانة، والثاني بالحنظلة، فاكتفىٰ بذكر المنافق، والقسمان الآخران قد ذكرا».

(١) أخرجه البخاري (٥٠٥٩) (٥٠٢٠)، ومسلم (٧٩٧).

٦- الخيرية فيمن تعلم القرآن وعلمه

٦٧/ ٤- عَن عُثمَانَ ﷺ عَن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «خَيرُكُم مَن تَعَلَّمَ القُرآنَ وَعَلَّمَهُ». أخرجه البخاري.

وفي رواية له (٥٠٢٧): «إن أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه».

في هذا الحديث فضيلة ظاهرة لمتعلم القرآن ومعلمه، فقد نص النبي ﷺ أنه خير المخاطبين وهم الصحابة، والصحابة هم خير الناس بعد النبي ﷺ.

ويحتمل أن يكون المراد خير الأمة. وفي اللفظ الآخر: «أفضلكم».

فينبغي للمسلم أن يسعىٰ في تحصيل هذا لاسيما في المواسم المباركة كرمضان.

قال الحافظ في «الفتح» (٥٠٢٧): «يحتمل أن يكون المراد بالخيرية من جهة حصول التعليم بعد العلم، والذي يعلم غيره يحصل له النفع المتعدي، بخلاف من يعمل فقط.

بل من أشرف العمل تعليم الغير، فمعلم غيره يستلزم أن يكون تعلمه، وتعليمه لغيره عمل وتحصيل نفع متعدٍّ، ولا يقال: لو كان المعنىٰ حول النفع المتعدي لاشترك كل من علم غيره علمًا ما في ذلك؛ لأنا نقول: القرآن أشرف العلوم، فيكون من تعلمه وعلمه لغيره أشرف ممن تعلم غير القرآن وإن علمه فيثبت المدعي.

ولا شك أن الجامع بين تعلم القرآن وتعليمه مكمل لنفسه ولغيره، جامع بين النفع القاصر، والنفع المتعدي؛ ولهذا كان أفضل، وهو من جملة من عنىٰ سبحانه وتعالىٰ بقوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت:٣٣].

والدعاء إلىٰ الله يقع بأمور شتىٰ من جملتها: تعليم القرآن، وهو أشرف الجميع، وعكسه الكافر المانع لغيره من الإسلام كما قال تعالىٰ: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا﴾ [الأنعام:١٥٧].

فإن قيل: فيلزم علىٰ هذا أن يكون المقرئ أفضل من الفقيه.

قلنا: لا؛ لأن المخاطبين بذلك كانوا فقهاء النفوس؛ لأنهم كانوا أهل اللسان، فكانوا يدرون معاني القرآن بالسليقة أكثر مما يدريها من بعدهم بالاكتساب، فكان الفقه لهم سجية.

فمن كان في مثل شأنهم شاركهم في ذلك، لا من كان قارئًا أو مقرئًا محضًا لا يفهم شيئًا من معاني ما يقرؤه أو يقرئه.

فإن قيل: فيلزم أن يكون المقرئ أفضل ممن هو أعظم غَناء في الإسلام بالمجاهدة، والرباط، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر مثلًا.

قلنا: حرف المسألة يدور علىٰ النفع المتعدي فمن كان حصوله عنده أكثر كان أفضل، فلعل «من» مضمرة في الخبر، ولا بد مع ذلك من مراعاة الإخلاص في كل صنف منهم.

ويحتمل أن تكون الخيرية وإن أطلقت لكنها مقيدة بناس مخصوصين خوطبوا بذلك كان اللائق بحالهم ذلك، أو المراد خير المتعلمين من يعلم غيره

لا من يقتصر علىٰ نفسه، أو المراد مراعاة الحيثية؛ لأن القرآن خير الكلام، فمتعلمه خير من متعلم غيره بالنسبة إلىٰ خيرية القرآن، وكيفما كان فهو مخصوص بمن علم وتعلم بحيث يكون قد علم ما يجب عليه عينا». اهـ

* * *

٧- الأجور العظيمة على قراءة القرآن في الصلوات وغيرها

٦٨/ ٥- عَن أَبِي هُرَيرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَيُحِبُّ أَحَدُكُم إِذَا رَجَعَ إِلَىٰ أَهلِهِ أَن يَجِدَ فِيهِ ثَلَاثَ خَلِفَاتٍ[١]، عِظَامٍ، سِمَانٍ.

قُلنَا: نَعَم.

قَالَ: فَثَلَاثُ آيَاتٍ يَقرَأُ بِهِنَّ أَحَدُكُم فِي صَلَاتِهِ خَيرٌ لَهُ مِن ثَلَاثِ خَلِفَاتٍ، عِظَامٍ، سِمَانٍ» أخرجه مسلم[٢].

٦٩/ ٦- وعَن عُقبَةَ بنِ عَامِرٍ ﷺ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَنَحنُ فِي الصُّفَّةِ[٣] فَقَالَ: «أَيُّكُم يُحِبُّ أَن يَغدُوَ كُلَّ يَومٍ إِلَىٰ بُطحَانَ، أَو إِلَىٰ العَقِيقِ، فَيَأتِيَ مِنهُ بِنَاقَتَينِ كَومَاوَينِ[٤] فِي غَيرِ إِثمٍ وَلَا قَطعِ رَحِمٍ.

---

(١) خلفات: جمع خلفة: وهي الناقة الحامل إلىٰ أن يمضي لها نصف أمدها، ثم هي عشراء. «إكمال المعلم» (٨٠٢).

(٢) مسلم (٨٠٢).

(٣) الصُّفَّة: هي سقيفة كانت في المسجد، يأوي إليها الفقراء.

وقوله: «يغدو»؛ يعني: يبكر. «وبطحان والعقيق»: واديان، بينهما وبين المدينة قريب من ثلاثة أميال أو نحوها. انظر: «المفهم» (٢/ ٤٢٩).

(٤) كوماوين: تثنية كوماء، وهي: الناقة العظيمة السَّنام، كأنه كوم.

=

فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، نُحِبُّ ذَلِكَ.

قَالَ: أَفَلَا يَغْدُو أَحَدُكُم إِلَىٰ المَسجِدِ فَيَعلَمُ، أَو يَقرَأُ آيَتَينِ مِن كِتَابِ اللهِ ﷻ، خَيرٌ لَهُ مِن نَاقَتَينِ، وَثَلَاثٌ خَيرٌ لَهُ مِن ثَلَاثٍ، وَأَربَعٌ خَيرٌ لَهُ مِن أَربَعٍ، وَمِن أَعدَادِهِنَّ مِنَ الإِبِلِ». أخرجه مسلم[1].

قال القرطبي في «المفهم»[2]: «ومقصود الحديث الترغيب في تعلم القرآن وتعليمه، وخاطبهم علىٰ ما تعارفوه، فإنهم أهل الإبل، وإلاَّ فأقلُّ جزء من ثواب القرآن وتعليمه خير من الدنيا وما فيها». اهـ

قلت: هذا فيه تشويق عظيم لقراءة القرآن؛ فإن النبي ﷺ دخل علىٰ أهل الصفة وهم قوم فقراء يسكنون صُفَّة المسجد، ثم دعاهم إلىٰ أمر عظيم في نظرهم، وهو امتلاك ناقتين عظيمتين من غير سرقة ونحوها، أو تسبب في قطع رحم، والنوق بهذه الصفة من أعظم ما يمتلك يومها، مع شدة فقر المخاطبين فنفوسهم كلهم وكذلك غيرهم تتوق لمثل هذا.

ثم أخبرهم بما هو أيسر وأعظم وهو قراءة القرآن، وهو شامل لمن قرأه عن ظهر قلب، أو من المصحف، فأخبرنا أن قراءة آيتين خير من ناقتين...إلخ.

ولما حفزهم وشوقهم النبي ﷺ بهذا، دل ذلك علىٰ أهمية الإكثار من قراءة القرآن، وتعلمه، وتدبره، نسأل الله أن يجعلنا من أهله.

=

قال القاضي عياض: «كأنهم شبهوا سنامها بالكوم، وهو الموضع المشرف». انظر: «المفهم» (٢/ ٤٢٩)، و«الإكمال» (٨٠٢).

(١) مسلم (٨٠٣).

(٢) «المفهم» (٢/ ٤٢٩).

٨- الماهر بقراءة القرآن مع السفرة الكرام البررة والمتتعتع له أجران

٧٠/ ٧- عَن عَائِشَةَ ﵂ قَالَت: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «المَاهِرُ بِالقُرآنِ مَعَ السَّفَرَةِ، الكِرَامِ، البَرَرَةِ، وَالَّذِي يَقرَأُ القُرآنَ وَيَتَتَعتَعُ فِيهِ، وَهُوَ عَلَيهِ شَاقٌّ، لَهُ أَجرَانِ»(١). متفق عليه(٢).

وهذا لفظ مسلم، ولفظ البخاري: «مَثَلُ الَّذِي يَقرَأُ القُرآنَ وَهُوَ حَافِظٌ لَهُ، مَعَ السَّفَرَةِ، الكِرَامِ، البَرَرَةِ، وَمَثَلُ الَّذِي يَقرَأُ، وَهُوَ يَتَعَاهَدُهُ، وَهُوَ عَلَيهِ شَدِيدٌ، فَلَهُ أَجرَانِ».

هذا الحديث فيه بيان لدرجة عظيمة لحفظة القرآن، المعتنين به تلاوة، وحفظًا، حيث جعلهم مع السفرة الكرام البررة.

البررة: الملائكة.

---

(١) قال النووي في «شرح مسلم» (٧٩٨): «السفرة جمع سافر ككاتب وكتبة والسافر: الرسول، والسفرة: الرسل، لأنهم يسفرون إلىٰ الناس برسالات الله، وقيل: السفرة: الكتبة، والبررة: المطيعون، من البر وهو الطاعة، والماهر: الحاذق الكامل الحفظ الذي لا يتوقف ولا يشق عليه القراءة لجودة حفظه وإتقانه».

(٢) البخاري (٤٩٣٧)، ومسلم (٧٩٨).

قال القاضي عياض[١]: «يحتمل -والله أعلم- أنَّ له في الآخرة منازل يكون فيها رفيقًا للملائكة السفرة، لاتصافه بوصفهم بحمل كتاب الله.

ويحتمل أن يكون المراد: أنه عامل بعملِ السفرة، وسالك مسلكهم، كما يقال: فلان مع بنيٰ فلان، إذا كان يرىٰ رأيهم ويذهب مذهبهم، كما قال لوط: ﴿وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء:١١٨].

وقوله: «والذي يتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران»[٢] معنىٰ «يتتعتع»: أيْ يتردد فيْ تلاوته عيًّا، والتعتعة في الكلام: العيُّ والتردد، وأصله الحركة.

قال الإمام: «يحتمل أن يريد بالأجرين الأجر الذي يحصل له في قراءة حروف القرآن وأجر المشقة التي تناله في القراءة».

قال القاضي: «ليس فيه دليل علىٰ أنه أعظم أجرًا من الماهر، ولا يصح هذا إذا كان عالمًا به، لأن من هو مع السفرة فمنزلته عظيمة، وله أجور كثيرة، ولم تحصل هذه المنزلة لغيره ممن لم يمهر مهارته، ولا يُسوَّىٰ أَجرُ من علم بأجر من لم يعلم، فكيف يفضله؟ وقد يحتج بهذا من يقول بفضل الملائكة علىٰ بني آدم[٣]».

---

(١) «إكمال المعلم» (٧٩٨).

(٢) قال القرطبي في «المفهم» (٢/ ٤٢٥): «إنما كان له -يعني: المتتعتع- أجران؛ من حيث التلاوة؛ ومن حيث المشقة، ودرجات الماهر فوق ذلك كله؛ لأنه قد كان القرآن متعتعًا عليه، ثم ترقَّىٰ عن ذلك إلىٰ أن شُبِّه بالملائكة، والله أعلم».

(٣) والصحيح في هذه المسألة التفصيل أن الملائكة أفضل من صالح بني آدم في الدنيا، وفي الآخرة صالح بني آدم أفضل من الملائكة الذين يخدمونهم -والله أعلم-، وقد فصلت هذا في تعليقي علىٰ «مداواة النفوس» لابن حزم (ص١١١-١١٢).

قال القرطبي[1]: «ويستفيد من هذا حملة القرآن: التجرُّد في التبليغ والتعليم، والاجتهاد في تحصيل الصدق، وإخلاص النية لله؛ حتىٰ تصح لهم المناسبة بينهم وبين الملائكة». اهـ

وبهذا يتبين لك أيها المسلم المنزلة الرفيعة والأجور العظيمة للمعتنين بالقرآن، فإما أن يكون المسلم فيه من المهرة وهذا مع الكرام البررة، وإما أن يكون معتنيًا به لكن متعتع فيه، وهذا له أجران.

والأجران فيهما الخير الكثير لمن لم يوفق للدرجات الأولىٰ، نسأل الله أن يرزقنا إياها.

* * *

(١) «المفهم» (٢/ ٤٢٥).

٩- الثمار العظيمة في الاجتماع على تدارس القرآن وتلاوته

٧١/ ٨- عَن أَبِي هُرَيرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا اجتَمَعَ قَومٌ فِي بَيتٍ مِن بُيُوتِ اللهِ، يَتلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَينَهُم، إِلَّا نَزَلَت عَلَيهِم السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتهُم الرَّحمَةُ، وَحَفَّتهُم المَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُم اللهُ فِيمَن عِندَهُ، وَمَن بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَم يُسرِع بِهِ نَسَبُهُ». أخرجه مسلم[١].

وفي هذا الحديث حث ظاهر وفضل باهر على الاجتماع على تدارُس القرآن في بيوت الله تعالىٰ وَشَوَّق إلىٰ ذلك بأمور:

الأول: تنزل السكينة وهي الطمأنينة والوقار.

الثاني: غشيان الرحمة عليهم.

الثالث: تحفهم الملائكة.

الرابع: يذكرهم الله فيمن عنده وهذه فضائل عظيمة لا يتحصل عليها العبد في غير التحلي بفضيلة تدارس كتاب الله والتلذذ بتلاوته جعلنا الله من أهله.

(١) مسلم (٢٦٩٩).

١٠- الحرف من القرآن بحسنة والحسنة بعشر أمثالها

٧٢/ ٩- عن عَبدِ اللهِ بنِ مَسعُودٍ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَن قَرَأَ حَرفًا مِن كِتَابِ اللهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشرِ أَمثَالِهَا، لَا أَقُولُ الم حَرفٌ وَلَكِن أَلِفٌ حَرفٌ، وَلَامٌ حَرفٌ، وَمِيمٌ حَرفٌ». أخرجه الترمذي[١].

في هذا الحديث تحفيز للنفوس الزكية الطالبة لما عند الله المسارعة إليه، بأن تتزود من قراءة القرآن، فهو معدن خير زاخر بالحسنات، ورفع الدرجات، فقد أخبر ﷺ أن للعبد بكل حرف يقرؤه عشر حسنات كما قال الله: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام:١٦٠].

وقال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾ [البقرة:٢٦١]. فإذا قرأ في اليوم حزبين كم تشتمل عليه من حروف؟! وهكذا ثلاثة أحزاب، وكلما زِدت زاد أجرك، سواء كانت تلك القراءة عن ظهر قلب أو عن نظر في المصحف.

فيا حبذا هذا من مشوق إلىٰ كتاب الله، فهل مشتاق متزود من طاعة يظفر

(١) الصحيح وقفه: أخرجه الترمذي (٢٩١٠)، والبخاري في «الكبير» (١/ ٢١٦) مرفوعًا، وأخرجه الدارمي (٣٣٠٩)، والطبراني (٩/ رقم ٨٦٤٨ و٨٦٤٩)، وابن الضريس في «فضائل القرآن» (٦٠)، وعبد الرزاق (٥٩٩٣) وغيرهم من طرق عن ابن مسعود ﷺ موقوفًا، وهو الصواب، ولكن له حكم الرفع. وانظر: «الصحيحة» (٦٦٠).

بهذه الأجور العظيمة؟

ونهمس هنا في آذان الثرثارين، الذين ألسنتهم لا تكاد تقف، في الغيبة، أو النميمة، أو الاستهزاء، أو الكلام الذي لا ينفع، أقلوا على أنفسكم، وتزودوا من طاعة ربكم فقد قال سبحانه: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق:١٨]. استغلوا نعمة اللسان، ونعمة الوقت، في التحلي بتلاوة كلام الله، والتلذذ بذكره. نسأل الله لنا ولجميع عباده التوفيق والسداد.

❋ ❋ ❋

١١- رفعة الله لأهل القرآن في الدنيا قبل الآخرة

٧٣/ ١٠- عَن عَامِرِ بنِ وَاثِلَةَ، أَنَّ نَافِعَ بنَ عَبدِ الحَارِثِ، لَقِيَ عُمَرَ بِعُسفَانَ، وَكَانَ عُمَرُ يَستَعمِلُهُ عَلَىٰ مَكَّةَ، فَقَالَ:مَن استَعمَلتَ عَلَىٰ أَهلِ الوَادِي؟ فَقَالَ: ابنَ أَبزَىٰ. قَالَ: وَمَن ابنُ أَبزَىٰ؟

قَالَ: مَولًىٰ مِن مَوَالِينَا.

قَالَ: فَاستَخلَفتَ عَلَيهِم مَولًىٰ؟!

قَالَ: إِنَّهُ قَارِئٌ لِكِتَابِ اللهِ ﷻ، وَإِنَّهُ عَالِمٌ بِالفَرَائِضِ.

قَالَ عُمَرُ: أَمَا إِنَّ نَبِيَّكُم ﷺ قَد قَالَ: «**إِنَّ اللهَ يَرفَعُ بِهَذَا الكِتَابِ أَقوَامًا وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ**». أخرجه مسلم[1].

في هذا الحديث تشويق للنفوس، الطالبة للمعالي الشرعية، أن تُقبِلَ علىٰ كتاب الله تعالىٰ، حفظًا، وتدبرًا، ومدارسة، يرفعهم الله بهذا الفضل، رفعة لا ينالها إلا من كان علىٰ مثل ما هم عليه.

قال القرطبي في «المفهم»[2]: («إن الله يرفع بهذا الكتاب أقوامًا»؛ يعني: يُشرف، ويكرم في الدنيا والآخرة، وذلك بسبب الاعتناء به، والعلم به، والعمل

(١) مسلم (٨١٧).

(٢) «المفهم» (٢/ ٤٤٦).

بما فيه. «ويضع»؛ يعني: يحقَّر ويصغَّر في الدنيا والآخرة، وذلك بسبب تركه، والجهل به، وترك العمل به). اهـ

* * *

١٢- أهل القرآن هم أهل الله وخاصته في الدنيا والآخرة

٧٤/ ١١- عَن أَنَسِ بنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ أَهلِينَ، مِن النَّاسِ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَن هُم؟ قَالَ: هُم أَهلُ القُرآنِ، أَهلُ اللهِ وَخَاصَّتُهُ». أخرجه ابن ماجه[1].

في هذا الحديث تشويق باهر للنفوس الصالحة في أن تسعىٰ في اكتساب الخيرات، حتىٰ تصير من «أهل اللهِ» وكيف ذلك؟ إنهم هم أهل القرآن، الحافظون له، والتالين له، آناء الليل وأطراف النهار، العامين بما فيه من الشرائع والأحكام، والخيرات العظام. فهؤلاء هم «أَهلُ اللهِ».

قال السندي[2]: «أي: أولياؤه المختصون به اختصاص أهل الإنسان به».

* * *

(١) صحيح: أخرجه ابن ماجه (٢١٥)، وأحمد (٣/ ١٢٧)، وصححه شيخنا الإمام الوادعي في «الصحيح المسند» (٧٧).

(٢) في «حاشية سنن ابن ماجه» (١/ ١٤٠) (٢١٥).

١٣- الغبطة العظيمة لمن آتاه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وأطراف النهار

٧٥/ ١٢- عنَّ عَبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ: قَال رَسُولَ اللهِ ﷺ: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثنَتَينِ(١): رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ القُرآنَ فَهُوَ يَتلُوهُ آنَاءَ اللَّيلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا فَهُوَ يُنفِقُهُ آنَاءَ اللَّيلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ»(٢). متفق عليه.

---

(١) قال القرطبي في «المفهم» (٢ / ٤٤٥): «وأصل الحسد: تمنِّي زوال النِّعمة عن المنعَم عليه، ثم قد يكون مذمومًا، وغير مذموم، فالمذموم: أن تتمنَّىٰ زوال نعمة الله عن أخيك المسلم، سواء تمنيت مع ذلك أن تعود إليك أم لا، وهذا النوع هو الذي ذمَّه الله تعالىٰ بقوله: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ [النساء: ٥٤]، وأما غير المذموم؛ فقد يكون محمودًا، مثل: أن يتمنَّىٰ زوال النعمة عن الكافر وعمن يستعين بها علىٰ المعصية.
وأما الغبطة: فهو أن تتمنَّىٰ أن يكون لك من النعمة والخير مثل ما لغيرك، من غير أن تزول عنه، والحرص علىٰ هذا يُسمَّىٰ: منافسة، ومنه: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين:٢٦]، غير أنه قد يطلق علىٰ الغبطة حَسدًا، وعليه يُحمل الحسدُ في هذا الحديث، فكأنه قال: لا غبطةَ أعظم أو أفضل من الغبطة في هذين الأمرين.
وقد نبَّه البخاري علىٰ هذا؛ حيث بوَّب علىٰ هذا الحديث: باب الاغتباط في العلم والحكمة. و«آناء الليل»: ساعاته، واحدتها: إنيٌّ، وإنًى.

(٢) البخاري (٧٢٥٩)، ومسلم(٨١٥)، وأخرجه البخاري (٧٣)، ومسلم(٨١٦) عن ابن مسعود رضي الله عنه بنحوه، وأخرجه البخاري (٧٥٢٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه بنحوه أيضًا.

في هذا الحديث تشويق للعاقل لأن يظفر بهذه الخصلة التي يغبط عليها، فإنه لا يغبط إلا علىٰ أمر محمود، فجعل الله سبحانه حامل القرآن التالي له القائم بالعمل به تلاوة وعملًا وتعلمًا وتعليمًا، وحكمًا وإفتاءً، مما يغبط علىٰ هذه المرتبة العلية.

قال الحافظ[1]: «ويجوز حمل الحسد في الحديث علىٰ حقيقته علىٰ أن الاستثناء منقطع، والتقدير نفي الحسد مطلقًا، لكن هاتان الخصلتان محمودتان، ولا حسد فيهما فلا حسد أصلًا».

* * *

---

(١) «الفتح» (٧٣).

١٤- القرآن شَافِعٌ مُشَفَّع يوم القيامة

٧٦/ ١٣- عن جابر عن النبي ﷺ قال: «القرآن مشفع، وماحل مصدق، من جعله إمامه قاده إلىٰ الجنة، ومن جعله خلف ظهره ساقه إلىٰ النار». أخرجه ابن حبان(١).

٧٧/ ١٤- وعن أَبي أُمَامَةَ البَاهِلِيّ قَالَ: سَمِعتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «اقرَءُوا القُرآنَ فَإِنَّهُ يَأتِي يَومَ القِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصحَابِهِ.

اقرَءُوا الزَّهرَاوَينِ البَقَرَةَ وَسُورَةَ آلِ عِمرَانَ؛ فَإِنَّهُمَا تَأتِيَانِ يَومَ القِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَو كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ، أَو كَأَنَّهُمَا فِرقَانِ مِن طَيرٍ صَوَافَّ تُحَاجَّانِ عَن أَصحَابِهِمَا.

اقرَءُوا سُورَةَ البَقَرَةِ فَإِنَّ أَخذَهَا بَرَكَةٌ وَتَركَهَا حَسرَةٌ وَلَا تَستَطِيعُهَا البَطَلَةُ.

قَالَ مُعَاوِيَةُ: بَلَغَنِي أَنَّ البَطَلَةَ: السَّحَرَةُ». أخرجه مسلم(٢).

---

(١) حديث حسن: أخرجه ابن حبان (١٢٤)، والبزار (١٢٢)، وقال الهيثمي في «المجمع» (١/ ١٧١): رجاله ثقات، وصححه الشيخ الألباني في «التعليقات الحسان» (١٢٤).

قلت: سنده حسن كما حسنه شيخنا في «الشفاعة» (١٦٦)؛ لأن في سنده عبد الله بن الأجلح وهو صدوق.

(٢) مسلم (٨٠٤).

٧٨/ ١٥- وعن النَّوَّاس بن سَمعَانَ الكِلَابِيِّ قَال: سَمِعتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «يُؤتَىٰ بِالقُرآنِ يَومَ القِيَامَةِ وَأَهلِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعمَلُونَ بِهِ تَقدُمُهُ سُورَةُ البَقَرَةِ وَآلُ عِمرَانَ.

وَضَرَبَ لَهُمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَلَاثَةَ أَمثَالٍ مَا نَسِيتُهُنَّ بَعدُ قَالَ: كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ أَو ظُلَّتَانِ سَودَاوَانِ بَينَهُمَا شَرقٌ أَو كَأَنَّهُمَا حِزقَانِ مِن طَيرٍ صَوَافَّ تُحَاجَّانِ عَن صَاحِبِهِمَا». أخرجه مسلم[(١)].

٧٩/ ١٦- وعن أبي هريرة ﷺ قال: «اقرءوا القرآن فإنه نعم الشفيع يوم القيامة إنه يقول: يوم القيامة يا رب حله حلية الكرامة، فيحلىٰ حلية الكرامة، يا رب اكسه كسوة الكرامة، فيكسىٰ كسوة الكرامة، يا رب ألبسه تاج الكرامة، يا رب ارضَ عنه، فليس بعد رضاك شيء». أخرجه الدارمي[(٢)].

---

(١) مسلم (٨٠٥).

(٢) سنده حسن: أخرجه الدارمي (٣٣١٢) من طريق زيد بن أبي أنيسة، والترمذي (٢٩١٦)، والحاكم (١/ ٥٥٢) من طريق شعبة كلاهما عن عاصم عن أبي صالح عن أبي هريرة.
قال الترمذي: حسن صحيح، وقال الحاكم: صحيح.
قال الذهبي: رواه ابن خزيمة قال: حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد عن أبيه حدثنا شعبة مرفوعًا.
قلت: وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٧/ ٢٠٦) من طريق سلم بن قتيبة أيضًا عن شعبة عن عاصم به مرفوعًا بلفظ: «نعم الشفيع القرآن لصاحبه يوم القيامة، يقول: يا رب أكرمه، فيلبس تاج الكرامة، ثم يقول يا رب زده ارض عنه فليس بعد رضا الله شيء».
وأخرجه الدارمي (٣٣٥٦) من قول أبي صالح.
قال شيخنا الإمام الوادعي في الشفاعة (١٧١): «فالظاهر أن أبا صالح تارة يرويه مرفوعًا، =

في هذه الأحاديث المباركة وغيرها تشويق عظيم إلىٰ تلاوة القرآن والعمل به؛ إذ إنه يأتي في يوم لا يغني مولىٰ عن مولىٰ شيئًا، ولا ينفع فيه مال ولا بنون، فيشفع في صاحبه، فيُشَفِّعه الله تعالىٰ ويمكنه مما طلبه، والقرآن كلام الله غير مخلوق.

❋ ❋ ❋

=

وتارة موقوفًا، وتارة يُحَدِّث به من قوله، والكل صحيح». اهـ

قلت: والأمر كما قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

١٥- ارتقاء المرتل للقرآن في الجنة ومنزلته عند آخر آية يقرؤها

٨٠/ ١٧- عَن عَبدِ اللهِ بنِ عَمرٍو رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «يُقَالُ لِصَاحِبِ القُرآنِ: اقرَأ، وَارتَقِ، وَرَتِّل كَمَا كُنتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنيَا؛ فَإِنَّ مَنزِلَكَ عِندَ آخِرِ آيَةٍ تَقرَؤُهَا». أخرجه أبو داود(١).

اشتمل هذا الحديث الكريم علىٰ تشويق عظيم، لأنه متعلق بنعيم لا ينقطع، وقرة عين دائمة في الجنة مع الترقي في الدرجات، والرفع في المنزلة، فكان ذلك داعيًا لكل عاقل ومحفزًا لكل كَسِلٍ، ومزودًا للرَّغبة في قلب كل زكي مسارع إلىٰ الاهتمام بهذا الكتاب العظيم، وإدمان النظر فيه والحفظ له والتلاوة له.

قال العلامة أبو الطيب(٢): «يُقَالُ»؛ أي عند دخول الجنة، «لِصَاحِبِ القُرآنِ»؛ أي: من يلازمه بالتلاوة والعمل، لا من يقرؤه ولا يعمل به.

«اِقرَأ وَارتَقِ»؛ أي: إلىٰ درجات الجنة أو مراتب القرب.

---

(١) حسن: أخرجه أبو داود (١٤٦٤)، والترمذي (٢٩١٤)، وأحمد (٢/ ١٩٢)، وحسنه شيخنا في «الصحيح المسند» (٧٨٤).

(٢) في «عون المعبود» (١٤٦١) (٤/ ٢٣٧)، وانظر: «شرح سنن أبي داود» للعيني (١٤٣٤).

«وَرَتِّل»: أي لا تستعجل في قراءتك في الجنة التي هي لمجرد التلذذ والشهود الأكبر كعبادة الملائكة.

«كَمَا كُنت تُرَتِّلُ»؛ أي: في قراءتك، وفيه إشارة إلىٰ أن الجزاء علىٰ وفق الأعمال كمية وكيفية.

«فِي الدُّنيَا»: من تجويد الحروف ومعرفة الوقوف.

«فَإِنَّ مَنزِلَكَ عِندَ آخِرِ آيَةٍ تَقرَؤُهَا».

ويؤخذ من الحديث أنه لا ينال هذا الثواب الأعظم إلا من حفظ القرآن وأتقن أداءه وقراءته كما ينبغي له.

قال الخطابي: جاء في الأثر عداد آي القرآن علىٰ قدر درج الجنة، يقال للقارئ اقرأ وارتق الدرج علىٰ قدر ما تقرأ من آي القرآن، فمن استوفىٰ قراءة جميع القرآن استولىٰ علىٰ أقصىٰ درج الجنة، ومن قرأ جزءًا منها كان رقيه من الدرج علىٰ قدر ذلك، فيكون منتهىٰ الثواب عند منتهىٰ القراءة». انتهىٰ.

وقال الطيبي: «إن الترقي يكون دائمًا فكما أن قراءته في حال الاختتام استدعت الافتتاح الذي لا انقطاع له كذلك هذه القراءة والترقي في المنازل التي لا تتناهىٰ، وهذه القراءة لهم كالتسبيح للملائكة لا تشغلهم من مستلذاتهم، بل هي أعظمها». انتهىٰ.

قال بعض العلماء: «إن من عمل بالقرآن فكأنه يقرؤه دائمًا وإن لم يقرأه، ومن لم يعمل بالقرآن فكأنه لم يقرأه وإن قرأه دائمًا، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [ص:٢٩]. فمجرد التلاوة والحفظ لا يعتبر اعتبارًا يترتب عليه المراتب العلية في الجنة العالية.

وبما سبق أرجو أن تكون قد انتفعت -أيها المسلم- الكريم بما قرأته من نصوص الشرع الكريم مما يزيدك تقربًا إلىٰ الله تعالىٰ بهذه العبادة وهي تلاوة كلامه، وحفظه.

وأرجو أن يكون فيما قد ذكرته لك في هذه الأوراق من نصوص الوحيين، تشويق تمت استفادتك منه بفعل هذه العبادات والقيام بها كما أراده الله ورسوله، والتزود والإكثار منها.

ونسأل الله سبحانه أن ينفعنا وسائر المسلمين بكتابه العزيز وسنة نبيه.

ويسر لنا الأعمال الصالحة والمداومة عليها.

ويرزقنا الإخلاص فيما نبدأ فيه ونذر إنه ولي ذلك والقادر عليه.

والحمد لله أولًا وآخرًا، دائمًا وأبدًا.

تمت الرسالة .

والحمد لله أولًا وآخرًا.

كانت المراجعة الأخيرة في يوم الأحد (٢٦/ من شعبان سنة ١٤٣١هـ).

بمسجد السلام بصنعاء اليمن.

والحمد لله أولًا وآخرًا.

❋ ❋ ❋

الفهـرس

* * *

الفقير إلىٰ عفو ربه
أحمد أبو زيد كامل